TAG-811-15/02

الجمهورية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

سجل تحت رقم
بتاريخ 31 ماي 2000
الرقم

جامعة أبي بكر بلقايد – تلمسان

كلية الآداب والعلوم الإنسانية و العلوم الاجتماعية

قسم اللغة العربية و آدابها

الشعر الوجداني على عهد الحماديين

رسالة لنيل شهادة المجستير في الأدب المغربي القديم

إعداد الطالبة :

نورية ابن عدي

إشراف :

الأستاذ الدكتور : محمد مرتاض

كلية الآداب و العلوم الإنسانية و الاجتماعية – جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان

أعضاء اللجنة:

- د. محمد زمري :رئيسا
- أ/د.محمد مرتاض:مشرفا مقررا
- د.رابح سنايسي:عضوا
- د.محمد مهداوي:عضوا

السنة : 1424 هـ (2003م)

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء وشكر

هذه كلمة شكر واعتراف أتوجه بها لأستـــــــــاذي المبجّل ،الدكتور محمد مرتاض الذي أنار دربي بنصائحه وإشرافه علىمتابعة هذه الرسالة التي لولا هذا الرجـــــل المتواضع ما عرفت إلى الوجود سبيلا.

ولا يفوتني في هذا المقام أن أقدّم خالص شكري لزوجي العزيز الذي ما انفك يساعدني ويشجعني علىالصبرو متابعة العمل طوال رحلة البحث.

مـــقدمـــــة

المقدمـــــــة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسّلام على المصطفى الأمين،وما كنّا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع شدة تعلقي بالتراث المغربي القديم كونه ميراث أسلافنا الذي وللأسف،ظلّ يتخبط في الظلام لعسر تخريج نصوصه،واضطراب مصادره. فأردت أن أخوض وبكثير من التحفظ في ثنايا الكتب التي رصدته ،علاوة على أنّ عصر بني حماد كان مغريا بالدراسة والبحث ، وخصيبا باعتبار واقعه ، إذ كان مفعما بالأحداث الجسام ،ومجالس العلم والأدب لطول مدته التّي استغرقت قرنا ونصف القرن من الزّمان.

من هنا تحفّزت لاختيار بحث وسمته ب:"الشعر الوجداني على عهد الحمّاديين "،وذلك بعد أن تكوّنت في نفسي رغبة شديدة في الاطلاع على مختلف آثار تلك الدولة الجزائريّة التي عمّرت طويلا مثلما سبق الحديث .

وقد حفّزني على اختيار بحثي فضلا عمّا ذكرته سابقا دوافع أخـــرى مختلفة ، يمكن إجمالها في ما يلي :

- قراءة أخرى لمصادر التراث الشعري المغربي والنقد على السواء
- الإشادة بجهود علمائنا الجزائريّن في العطاء الفكري والأدبي
- الكشف عمّا تخبئه هذه الفترة الطويلة من جوانب حضارية وفكرية وأدبية

من أجل ذلكم كلّه، أحببت أن أدلي بدلوي مع الدّلاء ،وأن أؤدي بعض الحقّ نحو رجالات الأدب المغربي ، فأجلي جهودهم وأتعرّف إلى مكانتهم بين أدباء العرب لإثبات مكانة الشعب الجزائري في الأمّة العربية الإسلامية الكبرى .

ولا أرى داعيا لذكر مشاق البحث والصّعوبات التي لقيتها ، لأنني احتسبت بذلك أجرا عند الله في خدمة العلم ، وما تألمت من شيء تألمي من ندرة المصادر وانعدام المراجع التي تصلنا بهذه المصادر في ضوء القراءات المتعدّدة للتراث الأدبي المغربي المبسطة له، والشّارحة لمختلف جوانبه .

ومن بين الكتب التي رافقتني طوال بحثي؛ كتاب العمدة لابن رشيق ،وهو كتاب أرسى فيه هذا الناقد الأديب قواعد مدرسة في الكتابة الفنيّة والأدبيّة ، بالإضافة إلى رؤيته النّقدية والبلاغية في تلك الفترة التي أنست فيها بكتب أخرى كمقدمة ابن خلدون، وخريدة القصر وجريدة العصر للعماد الأصفهاني .

ومن الدراسات الحديثة التّي اهتديت بها إلى فهم بعض النّصوص الشعرية القديمة؛كتاب " الأدب في عصر دولة بني حمّاد "للدكتور أحمد بن محمّد أبـــو رزّاق ،وكذا كتاب شعراء الجزائر على عهد دولة بني حمّاد للدكتـــور مختار حبّار ، بالإضافة إلى مراجع أخرى منها كتاب الأستاذ "رابح بونار "الموسوم ب"المغرب العربي ، تاريخه وثقافته"،وهلمّ جرا...

أمّا المنهج المطبّق في هذا البحث ، فهو المنهج الوصفي الّذي اتخذ من العرض والتّحليل هاديا له،وهو المنهج الّذي نخال أنّه الأليق في هذا المجال، باعتبار أنّه يهتمّ بالنصوص ويحاول فهمها والتّعمّق في شرحها .

وانتهى ذلك كلّه إلى أن يصير البحث في أربعة فصول مسبوقة بمقدّمة ومدخل ومتبوعة بخاتمة.

ففي المدخـــل تطرّقت إلى ومضـــــات عن بيئة الشعر الحمادي والظروف التي نشأ فيـــها.

ثم كان الفصل الأوّل خاصا بالغزل ،وقد أضفت إليه بعض أشعار الحنين والتشوّق إلى الأوطان، لما يجمع بين هذين النّوعين من عواطف جيّاشة وصادقة.

وفي الفصـــل الثاني تحدثت عن الوصف كغرض شعري ، خاصة منه شعر الطّبيعة.

و عالجت في الفصل الثالث غرض المدح من خلا ل قصائد مدح بها شعراء هذه الفترة بعض الملوك المغاربة، مع الإشارة إلى بعض الخصـــــــــائص عبر التحليل .

أمّا الفصل الرابع والأخير فقد خصّصناه للمقوّمات الفنّية التّي اتّسم بها الشعر الوجداني على عهد جزائر بني حمّاد .تلا ذلك كلّه خاتمة فيها جملة النتائج التّي أمكنني التوصل إليها، وقائمة للمصادر والمراجع وفهرس للمواد.

ومن الواضح أنّ فصول هذا البحث قد تباينت قلّة وكثرة، وطولا وقصرا بحسب موضوعات الفصول ، وغايتنا من وراء هذا كله هي الوصول إلى الكشف عن المميّزات العامّة في الشعر الوجداني الحمّادي .

وعسى أن نكون قد وفّقنا في إماطة اللّثام عن وجه آخر من وجوه هذه الحضارة الّتي عمّرت طويلا،وذلك من خلا ل دراسة شعر العواطف والوجدان.

ولله ولي التّوفيق .

تلمسان في : 14سبتمبر 2003

نوريّة ابن عدّي

مـــدخـــل

الحياة السياسية والثقافية و الفكرية

الحياة السياسية والفكرية:

-الحياة السياسية

-الحياة الثقافية وموقف الدولة من الحركة العلمية

الحيـــاة السياسيـــة :

اصطفت الدولة الفاطمية حين همت بالرحيل إلى المشرق العربي آل زيري و عهدت بالإمارة و الوصاية على المغرب العربي لـــ بلكين ابن زيري 631 هـــ ابن زيري ابن مناد الذي أعان المنصور الفاطمي على حرب الخوارج و هو الذي تنسب إليه الدولة الزيرية الصنهاجية لحما و دما .

كانت الخلافة على عهد بني زيري مملوكية استبدادية ، إذ توالى أبناء زيري على الخلافة بعد وفاته . و بايع حماد أخاه المنصور و بعد وفاة المنصور خلفه ابنه باديس و كان أول ما قام به باديس أن خالف وصية المنصور لجده "بلكين " بأن لا يول أحدا من أبناء عمومته أو إخوته .[1]

عقد باديس لعمّه حماد ابن بلكين على جميع ولاية الجـــزائر الشرقيـــــة و اقطعه مقاطعة أشير و أمّده بالمال و السلاح لمحاربة قبيلة زناتة المعادية لهما ، لكن حماد الدّاهية اشترط على ابن أخيه أن يوليه على المغرب الأوسط إن هو قضى على شوكة زناتة .

اندفع حماد بعد انتصاره على زناتة يتجول في أنحاء الجزائر ثملا بخمرة الانتصار و الغلبة بعد أن أوفى ابن أخيه بوعده له و بني القائد حماد أول قلعة

---

[1] عبد الرحمن ابن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ط بيروت ، ج 1 ، 1980 ص 246 .

حمادية على مشارف بحيرة الحضنة – حاليا – سنة 398 هـ و أسس مدينة القلعة التي قدر لها أن تكون حينا من الدهر عاصمة للقطر الجزائري .

وتأسست الدولة الحمادية سنة 405 هـ وسط بؤرة كبيرة من الخلاف الذي ظل سائدا بين حماد وابن أخيه، و كانت ثاني دولة مسلمة تأسست بهذه البلاد بعد الدولة الرستمية.

لم تتعد الدولة الحمادية في حدودها ولايتي الجزائر وقسنطينة المعهودة اليوم تقريبا، وتمتد في الجنوب إلى ورقلة، يقول ابن خلدون أن حمادا اقتطع ممالك الغرب لنفسه ما بين جبل أوراس إلى تلمسان واختط القلعة بجبل كتامة حيال المسيلة ونزلها، واستولى على مركز أشير بجبل تيطري واستحدث مكانا آخر قسيما لملك آل باديس [1] . ويجاورها غربا دولة المرابطين ومواطن زناتة وشرقا مملكة بني زيري [2] .

توالى على الحكم الحمادي تسعة ملوك أولهم حماد ابن بلكين (408–419 هـ)

-2- القائد ابن القائد (419هـ - 446 هـ)

ـ3 محسن ابن القائد (وبقي تسعة أشهر)

ـ4بلكين ابن محسن (447 هـ - 454 هـ)

- 5الناصر ابن علناس (454 هـ - 481هـ)

[1] ابن خلدون : المقدمة ، ط بولاق سنة 1956م . ص 143 .
[2] عبد الرحمن ابن محمد الجيلالي : تاريخ الجزائر العام . ج1 – ط بيروت . ص 276 .

ـ6المنصور ابن الناصر(481 هـ - 498 هـ)

-7 باديس ابن المنصور(498 هـ- 498هـ)

ـ8العزيز ابن المنصور(498 هـ- 515 هـ)

-9 يحي ابن عبد العزيز(515 هـ- 547 هـ)[1]

انتهى حماد إلى الصلح مع المعزّ ابن باديس ليتفرغ نحو 405 هـ لبناء الدولة الجديدة التي انتقلت عاصمتها إلى (بجاية) نهائيا في عهد المنصور ابن الناصر سنة 483 هـ بعد وفاة أبيه فيها هناك سنة 481 هـ ،فصارت بجاية الناصرية مشعل علم وحضارة. [2]

سار عبد المؤمن نحو مملكة بني حماد سنة 546 – على عهد الملك يحي ابن عبد العزيز، وتم الاستيلاء عليها سنة 547 هـ ، وتوجهت يومئذ الجيوش نحو القلعة، فد خلوها عنوة بعد أن لقوا مقاومة عنيفة،

وقتلوا من فيها بل وخرّبوا القلعة فتشـــــرد أهلها إلى الجبال، وسبيت نساؤها وأخذوا كل ما فيها من الخيرات. وقتل إخوة بن عبد العزيز وهم ثلاثة جوشن، الحارث وعبد الله [3] ، وسقطت دولة الحمّاديين على يد الموحدّين .

(1) رابح بوثار : المغرب العربي تاريخه وثقافته. ط الجزائر . سنة 1968 ص 207 وما يليها .
(2) عمر ابن قينة: أدب المغرب العربي قديما : الجزائر : 1994 ص 57 .
(3) أحمد ابن محمد أبو رزاق ، الأدب في عصر دولة بني حمادة، ص 116 .

الحياة الثقافية والفكرية وموقف الدولة من الحركة العلمية

كانت دولة بني حمّاد معنيّة بنشر العلوم والآداب؛ إذ كثر بها الفقهاء والأدباء، وبرز بعض الرّياضيين وعدد من الأطباء والمؤرخين ومن أهم فقهاء بني حماد العلامة المقرئ والرحالة الشيخ أبو القاسم يوسف البسكري والإمام المحدّث الفقيه الأديب أبو محمد عبد الله الأشيري ، والعلامة النّظار والفيلسوف والحكيم الفقيه ابن الرّمامة .

فازدهرت الحركة العلمية والصناعية، وكان أمراء بني حماد يغدقون الشعراء بالهدايا الفاخرة على غرار غيرهم من الملوك حيث يروى أنّه قد اجتمع حول المعزّ الفاطمي في القيروان نحو مائة شاعر ، قدّم أسماءهم ابن رشيق القيرواني، وكان اسمه تمام المئة [1] منهم امرأة تدعى " خدوج الرّصفية "، وقد وصفها ابن رشيق بالحذاقة في الترسل. وأورد لها شعرا في الغزل مطلعه

جمعـــوا بيننا فلما اجتمعنـــــا فرّقـــونا بالـــزور والبهتان

لهف نفسي علي يا لهف نفسي منك إن بنت يا أبا مروان[2]

وكان أبو مروان هذا شاعرا من أهل الأندلس وكان يودّها فظهر له تشبّب بها فغار لذلك إخوتها، وفرّقوا بينهما، واشتهر أبوا مروان هذا فقتله إخوتها.

---

[1] ابن رشيق الغرداني : النموذج الزمان في شعراء القيروان وقد صدر هذا الكتاب في طبعة علمية الأخيرة بعناية الأستاذين: محمد العروسي المطوي وبشير البكوش جمعا وتحقيقا نشر بالاشتراك بين الدار التونسية للنشر والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر سنة 1986 ، ص 123 – 124 .

[2] تـــابـــع للأول .

ومن قول ابن رشيق هذا تتجلى لنا غيرة الرجل المغربي على المرأة وهي غيرة مستمدة من صميم شريعتنا الإسلامية.وإن كان قتل الشعراء يقطع أواصر العطاء الشعري، ويحرمنا من مزيد من الأشعار الفياضة بالعواطف، التي لا حرج إن حّملت بالعفة والتّحفظ.

في هذه الفترة بدأ الأمراء من بني حماد وغيرهم يقرّبون الأدباء بل يتنافسون عليهم ويتقربون منهم، فتتوطد العلاقة بين الحاكم والشاعر لتبلغ من الشهرة مابلغته بعض الثنائيات بالمشرق العربي ، وفي طليعتها الثنائية الوطيدة التي أسالت الحبر اليسير،وهي التي جمعت المتنبي وسيف الدولة .

فكان المتنبي يدعم صاحبه بالفكرة والموقف للتأثير في الرعية وترهيب الأعداء، كذلك كان مطمع ملوك بني حمّاد فقد عظم شأنهم، وكست أخبارهم جل التآليف والدّواوين على عهدهم كما تكتسح صور المشاهير من الرؤساء الصحف والجرائد على عهدنا .

تميّزت الحياة الثقافية في هذه الفترة بانفتاح واضح على مختلف الفعاليات والتيارات الثقافية القادمة من المشرق والأندلس وقد باتت سرعة الاتصال وتلقائيته أمرا محتوما، غمق على المستوى الفكري والشعبي روح الانتماء لحضارة واحدة [1] .

[1] عمر ابن قينة أدب المغرب العربي قديما، ص 58 .

إن هذا الامتداد الثقافي والفكري والحضاري بين شعوب إفريقيا، القيروان وحواضر المشرق والأندلس وصقلية، قد ولّد جوّا من الامتزاج الفكري والثقافي بين الأدباء؛ إذ تشابهت القضايا الفكرية وكذا طرائق التعبير، مع بعض من الخصوصية لكل قطر في أدبه وذلك لبعض الاختلافات الاجتماعية والفكرية والمزاجية أيضـــــا .

عرف ملوك بني حماد بأنهم كانوا رجالا عظاما يهتمون بالشعب ويسعون في نشر الأمن بمختلف أرجاء المملكة ويعنون بتنشيط الفلاحة ووسائل العمران ويقرّبون إلى بلاطهم العلماء والأدباء والشعراء وغيرهم من رجالات الفكر والعلم والزّعامة [1] . وكان حماد ابن بلكين كما يقول عنه لسان الدّين ابن الخطيب " نسيج وحده وفريد دهره وفحل قومه، ملكا كبيرا وشجاعا، ثبتا وداهية حصيفا، قد قرأ الفقه بالقيروان ونظر في كتب الجدال " [2]

ويروي لنا الدّكتور أحمد ابن محمد أبو رزاق قصصا طريفة تدلّ على ذكاء هذا الرجل ومهارته في القضاء أحيانا، كما تدل أحيانا أخرى على شططه في حكم الله وتحكيمه لعاطفته بإعراضه عن الأحكام الفقهية التي درسها بالقيروان ولعلّه في ذلك يبيح لنفسه ما يحضره على غيره مستغلا الجاه والسلطان ! [3] .

---

[1] رابح بونوار : المغرب العربي تاريخه وثقافته ، ص 207 .
[2] لسان الذين ابن الخطيب، المسالك والممالك . ط الجزائر ، 1857 ، ص 187 .
[3] أحمد ابن محمد أبو رزاق : الأدب في عصر بني حماد، ط الجزائر ، 1857 ، ص 187 .

كما تروى أحاديث وطرائف كثيرة عن ملوك بني حماد، حيث بلغنا أن الناصر ابن علنّاس كان أعظمهم ملكا وأكثرهم جاها، اختط بجاية وبناها في 460هـ واتّخذها عاصمة لدولته، فقصدها الناس من مختلف النواحي ، فلم تلبث أن استبحر عمرانها وكثر سكانها [1].

وكان الناصر محبّا للفنون والعمران فبنيت على عهده القصور الفاخرة، واستدعى إليها الشعراء وممن قصده – كما أورد رابح بونار– الشّاعر ابن الكفّاه القيرواني الذي قال فيه:

قالت سعاد وقد زمّت ركائبنا مهلا عليك فأنت الرّائح الغـــــادي
فقلت تا الله لا أنفك ذا سفـــر تجري بي فلك أو يحدو بي الحـــادي
حتى أقبل ترب العزّ منتصرا بالناصرين علناس ابن حمّـــــاد [2]

فقد كان أمراء بني حمّاد في القلعة وبجاية ينافسون بني باديس في القيروان، حتى صارت عاصمة الحمّاديين تضاهي القيروان، بل إنها استفادت من خراب نظيرتها، فهجرها الناس أفواجا إلى القلعة، ثم استقر بها التجار من مصر والعراق والحجاز، فراجت بها تجارة الحلي واشتهر بها أصحاب الحرف، كتطريز العمائم للملوك وزخرفة القصور والقلاع .

(1) رابح بونوار : المغرب العربي تاريخه وثقافته ، ص 211 .
(2) رابح بونار : المغرب العربي تاريخه و ثقافته ، ص 211 .

تذكر كتب التاريخ أنّ المباني والعمران على عهد الحمّاديين اتّسمت بطراز جميل و رونق فتّان ،إذ ملئت القصور بالزخارف و الفسيفساء و البلاط المزخرف و الخزف البرّاق . الذي كاد يضاهي في تميّزه و أسره للنفوس قصور الأندلس الفاخرة.

وروي ابن الخطيب أن الناصر ابن علناس قد بنى بالقلـــعة مســـــاجد و قصورا ، و اعتمد في الحديث عنها على شعر أبي عبد الله محمد ابن علي ابن حماد [1] الذي رثى القلعة بعد أن عفت رسومها و سكنها الخراب .

أمّا المساجد فقد كانت آثارا نافعة محمودة و صار بعضها معاهد علمية في المشرق و المغرب تخرج منها رجال كبار في العلوم الدينية و اللغوية، أوفياء للإسلام و العروبة .

و قد استفادت بلاد المغرب الأوسط من أبناءها الأبرار و من رجال العلم و الأدب الذين طرأوا عليها قادمين من القطر التونسي و صقلية و مدن الأندلس، و قاموا بتدريس العلوم الإسلامية و العربية و تركوا آثارا ملحوظة ، وجدت متفرقة كما سنرى في بعض فصول الرسالة .

لم تتخل مدينة "القلعة " عن دورها في المجال الفكري و الروحي على الرغم من تخلي الناصر عنها مضطرا إلى بناء "بجاية " التي حوّلها إلى مركز

(1): أنظر عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابقة ببجاية لأبي العباس الغبريني ، ط ، بيروت 1969 م

ثقافي و حضاري ، نافس به القلعة و غيرها في الحياة الفكرية و الروحية حقبة طويلة .

و قد ســـــاعد موقع بجاية الممتاز الذي يصلها بحـــــــرا بالمغـرب والأندلـــس و بصقلية و المشرق و بمدن المغرب الأوسط الساحلية، على اتساع مجال التواصل بين سكان المغرب و غيرهم من العرب، فاستفاد الفقهـــــــاء و العلمـــــاء و الأدباء بعد أن صارت الدولة الحمادية دار هجرة أمّها المحدّثون و الأدباء من الأندلس و غيرها . [1]

و تعلّم البربري فيما تعلم أن يكتب و ينثر وينظم ويشعر، و شدت حناجر الشعراء من بني حماد و غيرهم بروائع خالدات حسبنا منها أنّها نقلت لنا تاريخنا و أثرت قلوبنا و مكاتبنا، نفخر بها و هي تضاهي روائع القصائد المشرقية التي لا تكمل إلا بهذا الامتداد الذي زينتها به القصائد المغربية .

هذه القصائد التي ولدت بعد تأخر لأسباب سياسية وأمنية طرأت على البلاد المغربية العربية . لكن سرعان ما تهذّبت القرائح وتأدّبت العقول بفضل التعليم في المساجد و تشجيع أولى الأمر خاصة الأمراء الحماديين، كما سبق الذكر .

يتفق النقاد و الأدباء على أن الشعر في المغرب بدأ مشرقيا ثم ترعرع في عهد الازدهار، بعد أن عايش فترة النشوء مدة ظل يتخبط فيها بين المشـــــرق و الأندلس .

[1] أحمد ابن محمد أبو رزاق ، الأدب في عصر دولة بني حماد ص 140

و مع أن القصيدة المغربية قد عرفت مسارها في عهد الازدهار و تحدّدت بعض سماتها الخاصّة بها إلا أنّها لم تستقلّ كليا باعتبارها تشكل امتدادا واضحا للتراث العربي .

يبدو أن البيئة المغربية كان لها اليد الطولى في رسم معالم القصيدة المغربية ،لا سيما و قد قيل أن الأدب ابن بيئته ، و البيئة ــ كما هو معروف ــ هي كل ما يحيط بالأديب من أحداث و أحوال و ملابسات ،وهي الزمان و المكان و الأرض و السماء ،وهي الناس في مجتمعهم و ثقافتهم و سياستهم و كل ما يتعلق بهم. (1)

سنحاول بعون من الله أن نبرز مكامن التأثر والتأثير بين هذه البيئة وخطابات الشعراء في الصفحات التالية.

(1) حنا الفاخوري تاريخ الأدب في المغرب العربي ،طبعبيروت 1951 ، ص 16 .

الفصل الأوّل

شعر الغزل والحنين إلى الأوطان

شعر الغزل والحنين إلى الأوطان:

1- شعر الغزل

2- شعر الحنين إلى الأوطان

1) شـــعر الغـــزل :

إن اختلاف الطبقات وسّع من دائرة الإبداع و أدّى إلى تنوع في الأغراض نتج عنه مناظرات و مقابلات بين دوي الفكر و الأدب كتلك التي كانت تقام في قصر تميم ابن المعز الصنهاجي، الذي التف من حوله أكثر من مائة شاعر،حتى أنه كان بدوره شاعرا ، كما كان المنصور ابن الناصر شاعرا أيضا وإن لم تصلنا أي من أشعاره .

كان تميم ابن المعز الصنهاجي من شعراء طبقة الحكام ، تولى الإمارة (بين 454 –501 هـ) ، و قد قال شعرا في مختلف الموضوعات بما في ذلك المدح و الوصف و الفخر و الغزل، فمن غزله حديثه عن ليلة أنس خاصة وصفها وصفا حيا ، طغت فيها كما وصفها الدكتور عمر ابن قينة – المباشرة على الإشعاع الروحي في التناغم بين الحسّ و الصورة ،فطغت الصورة الماديّة على الضلال الروحية ذات الإشعاعات الفنية [1]

و لما تلاقينا و لم نخش كاشـــحا ... و لم نتكاتم ما بيننا من جوى الحــب
جعلت يدي مستخبرا فوق قلبـــها ... و جالت بيمنى راحتيها على قلبـــي
فلما تصادقنا اختيار وروعيـــــة ... تعلق منها الصب بالمندف الصــــب
تنير بمثل البدر من صحن خدهـــا ... و تفتر عن نور الضحى بارد عـــذب

(1) عمر ابن قينة ، أدب المغرب العربي قديما ، ديوان المطبوعات الجامعية 1994 ، ص 60 .

يبدو أن الغزل في هذه القطعة أقرب إلى التصوير منه إلى النسيب، فبالرغم من العواطف الجياشة و الحسّ المرهف الذي توحي به بعض البنى الإفرادية كالإشعاع المنبعث من الشطر الأوّل من آخر بيت، و اطمئنان القلوب في البيت الثاني . لم تسلم المقطوعة من طغيان الوصف المادي الذي أتى على طمس بعض إشعاعاتها الفنية ، و استبدالها ببعض الكلمات ذائعة الشيوع مثل الصب – العدى و التي فقدت إشعاعها بفعل التداول .

و يبدو أن البيئة الحمادية بحضارتها الفتانة و منـــــــــاظرها الخصبة ، و بساتينها الناضرة جعلت الشعراء يبدعون و يتغنّون ، و جعلت الحياة رخيّة ، فكان أن شمل الخطاب الشعري مجالس السمر و وصف اللقاءات التي كانت تتم بين الجنسين جهرا أو سرا، أضف إلى ذلك الأمراء الذين عرفوا حياة البـــــذخ و الترف فأسرفوا في ذلك مثلهم مثل أبناء عمومتهم في القيروان .

و قد نجم عن ذلك موجات من التحرر العاطفي و اتساع رقعة الخيال المبدع خاصة عندما تتوفر الرياض و البساتين، كتلك التي وصفها ابن حمديس بدقـــــة و مهارة، و ما كان له أن يبدع كذلك لولا سحر المكان و روعة المقام .

إن حياة البذخ لا تخل من مجالس اللهو و الخمر و هي أماكن عادة ما يقصدها الشعراء قل عددهم أو كثر، و نذكر على سبيل المثال لاالحصر : ابن رشيق المسيلي و زمرة من جلسائه الذين بالغوا في وصف الخمر حتى سفهت أقوالهم ، و عيب عليهم ذلك و كأنهم بذلك طمحوا إلى التجديد في المعاني أو لعلهم حاولوا تقليد و منافسة الشاعر العباسي أبي نواس حين أخذوا عنه استهتاره فـــــي

المجون و استرساله فيـــــه، و كذا نقله الغــزل من أوصاف المؤنث إلى المذكر ، فكانت طريقته و لا ريب جناية على الأدب ووصمة في تاريخ شعر العرب .

و بالرغم ممّا قلناه الآن فأدب التغزل في المغرب عامة و في جزائر بني حماد خاصة قد عجز عن بلوغ غايته في التّطور الفني الّذي عرفه نظيــره بالمشرق ،و بقي جله محافظا على الحشمة و الوقار ، حتى أننا لنجد معانيه متخفية غير مصرح بها لشدة حياء أصحابه و هو في معظمه عفيف .

بيد أن الذي يشغلناهو ضآلة المادة الشعرية في هذا النوع فلم نقع بعد طول بحث و تنقيب إلّا على بعض النتف و المقطوعات التي يكاد لا يعتد بها للوقوف على حكم جازم في أمرها .

و يرجع بعض النقاد المحدثين أسباب ذلك إلى عوامل أهمها :

1- تمكن الروح الدينية من نفوس الشعراء ، لكثرة الفقهاء و ما لهم من سلطان على الأفراد و الجماعات بحكم الوازع الديني

2- طبيعة الرجل الجزائري الملتزم و حياءه في الإفصاح عن مشاعره أدى إلى طغيان الطابع الجدي على القصائد، لتعفف أصحابها و إعراضهم عن التهتك في الغزل ، فإن مارسه أصحابه مارسوه بحياء قادهم أحيانا إلى التفنّع و الاكتفاء التلميح، و ربما يكون الحياء عاملا أساسا في منع أصحابه من فضح أنفسهم بالإعلان عن أهوائهم في خطاباتهم الشعرية [1]

[1] أما أحمد أبورزاق فله تعديلات لهذه النذرة حيث يرجح أسباب نذرة الغزل في الشعر الجزائري إلى تلك النظرة التي ينظر بها الرجل الجزائري إلى المرأة كمخلوق ضعيف أقل منه درجة و أقل مقاومة حرصا منه على رعايتها ، و يراه

كان حضور الغزل في الشعر الحمادي محدودا ، شأنه في ذلك شأن الهجـــاء و أغراض أخرى ، كوصف الطبيعة بجبالها و أنهارها و ثلوجـــها و أمطارها ووديانها و غاباتها ، فلم نعثر إلا على مادة قليلة عالج فيها أصحابها الغزل على طريقـــــة الأندلسيين، لكنهم ما بلغوا شأوهم و لا شقوا لهم غبارا.

و الغزل نتاج غريزة سامية مهذبة تحرك أوتار القلوب و تزكي أحاسيس النفوس الصادقة فتفيض قولا موزونا قريبا إلى قناعة الناس وميولهم ، و إن بالغ أصحابه في تعاطيه للوعة في النفس العاشقة و اشتياقها قرب الأحبّة .

ومن بين أطول المقطوعات التي وقعت عليها واحدة لابن قاضي ميلة ، اقتطفتها من فائيتة في مدح ثقة الدولة في عيد النحر[1].

و هي قصيدة مطولة نالت إعجاب النقاد ، منهم ابن رشيق في قوله عنها "لو أن هذا الشعر لمن تقدم ذكره كابن ربيعة و من سلك مسلكه لاستجيـــــد لهم و ذكروه به ، و قدّم على كثير من أشعارهم و لا عيب فيه إلا أنه متأخر "[2]

بذلك غليظ الطبع غير منصف و قدحال طبعه بينه و بين تذوق الغزل لذاته فحسب (ينظر الأدب في عصر دولة بني حماد ، ص 196)

(1) ثقة الدولة هو أبوا الفتوح ، يوسف ابن عبد الله ابن محمد أمير صقلية (أنظر المسلمون في جزيرة صقلية و جنوب إيطاليا ، ط ، الجزائر سنة 1965 – ص 163)[3]

(2) د : مختار حبار : شعراء الجزائر على عهد الدولة الحمادية (سيؤ و نصوص) ديوان المطبوعات الجامعية - و هران 1998 – ص 135

أمّا رابح بونار فقد وصفها بالبديعة، و أضاف إلى ذلك أن ابن خلكان ظفربها على ظهر كتاب، و هي لا توجد بكلماتها في أيدي الناس ولم يكن عنده منها سوى البعض ولا سمع أحدا يروي منها إلا ذلك القدر .

و من هذه القصيدة البديعة قوله متغزلا [الطويل]

و لما التقينا محرميــن و سيرنا بلبيك ربا و الركائب تعســـف [1]

نظرت إليهاوالمطـــــي كأنما غواربرها منها معاطس رهــف [2]

فقالت أما منكن من يعرف الفتا فقد رابني من طول ما يتشوف [3]

أراه إذا سرناسار حـــــذاءنا ونوقف أخفاف المطي فيــوقف [4]

لا يصحّ إهمال النسق الإبداعي و السّياق الشعري الذي وجدت في مساره هذه القصيدة و قد مهدت لها إرهاصات شعرية في إبداعات ابن قاضي ميلة السابقة ، حيث عرف بميله الشديد إلى أسلوب الحوار في خطاباته الشعرية، فوجدناه يكثر من قوله : " قالت و قلت و قل و قولا ". على طريقة ابن ربيعة .

و يستهل قصيدته بتحديد مكان اللقاء الذي يستوحي من لفظة "محرمين " و مكان الإحرام هو بيت الحرام .

(1) أ : رابح بونار المغرب العربي تاريخه و ثقافته ، ص 320 .
(2) محرمين : داخلين الإحرام باالحج – تعسف : أتعبت بالسير .
(3) الغوارب : جمع غارب و هو الكاهل أو مابين السام و العنف ، معاطس جمع معطس ، و الأنف – رعف : تسيل بالدماء
(4) رابني : أدخل على الشك

و القارئ من بعد ذلك يقف فيما ينيف عن العشرة أبيات أمام حوار قصصي طريف غير مباشر . لأن اللقاء بين الطـــــــرف الأول الذي هو الشـــاعر ، و الطرف الثاني الذي هو المرأة المتستّرة في خدرها لم يتم ، و إنما تناقل الحوار طرف ثالث و هو تربيها .وتتسلل العواطف في خفاء و نعومة بحيث لاتكاد تستلفت القارئ و تتساءل المرأة عن سر ملاحقة هذا الفتى ، فتسأل صديقتها عنه فيجيبها :

فقلت لتربيها أبلغاها بأننـــــــــي بها مستهام "قالتا تتلطـــــــــف " [1]
و قولا لها يا أم عمرو أليس ذا منى و المنى في خيفه ليس يخلـــــف [2]
تفاءلت في أن تبدلي طارف الهوى بأن عنّ لي منك البنان المطـــرّف [3]
و في عرفات ما يخبر أننـــــــي بعارفة من عطف قلبك أسعـــف
وأما دماء الهدى فهي هدى لنـــا يدوم و رأي في الهوى يتألـــف [4]

فأوصلن إليها ما قاله الشاعر ، فتبسمت و ردّت عليه

إذا كنت ترجو في منى الفوز بالمنى ففي الخيف من إعراضها نتخـوف
و قد أنذر الإحرام أن وصـــــالنا حرام و أنا عن مزارك نصـــدف
فهذا و قدفي لك بالحصى مخبـــر بأن النوى بي عن ديارك تقذـــف [5]
و حاذر نفاري ليلة النفر إنـــــه سريع فقل من بالعيافة أعـــــرف [6]

(1) : تربيتها ،قرينتيها في السن ،– مستهام : مغرم
(2) منى و الخيف : موضعين لمناسك الحج .
(3) طارف : جديد – البنان : طرف الأصبع – المطرف : المخصب بالحناء
(4) الهدي : ذبيحة الحاج .
(5) النوى : البعاد - تقذف : تبعد
(6) نفاري : جزعي و تباعدي - النفر : افندفاع من منى إلى مكة .

و نستطيع أن نفهم إعراضا واضحا من لدن هذه المرأة و ذلك في مواضـــع عدة ، كما أوحت به كلماتها (إعراضنا - و صالنا حرام تصدف – النوى – تقدف – نفاري – النفر)

هذه الأبيات كما أسلفت الذكر مجتزأة من قصيدة مطولة أوردها رابح بونار في ستين بيتا ضمن قائمة المنتخبات ، كما أوردها أيضا مختار حبار في كتابه شعراء الجزائر على عهد الدولة الحمادية . و لا حظت من خلال إطلاعي عليها بعض الاختلافات في الألفاظ ، غير أنها اختلافات طفيفة لا تؤثر كثيرا على المعنى .

و المطلع على هذه القصيدة التي استهلها صاحبها بقوله :

يذيل الهـــوى دمـــعي و قلـــبي المعنـــف

و تجني جفونـــي الوجـــد و هو المكلـــف [1]

يلمس و لا شك تماسكا في أجزائها ، التي حملت مقدمة غزلية تفتح شهية القارئ لمعرفة أكثر و قراءة أعمق؛ حيث يشتكي حالته النفسية قبل ارتحال المطايا و في أثناء السفر ، ثم يسترسل بحبكة و مهارة لا تعوز إلى اللفظ الرقيـــــــق و المعنى الدقيق في ذكر صفات المحبوب بطابع غير حسّي و لا مباشر ضمّنه تجاربه الخاصة مع بعض الفكاهة و إن غلب عليها الطابع الجدي .

(1) يذيل : يسيل - جفوني : أغطية عيوني - الوجد : المحبة .

حاول ابن قاضي ميله أن يربط قصّة غرامه بما حوله من جماد تمثّل في المكان الذي تدور فيه الأحداث و ربطها بكل ربع من ربوع البيت الحرام، حيث أنهما التقيا محرمين و سارا يتنقـــــــلان لأداء مناسك الحج، و يتحـــاوران عن طريق غيـــــــر مباشر؛أعني بوجود واسطة .

لسنا نعلم لماذا اختار الشاعر هذه الأرض المقدّسة كمسرح تدور فيه أحـــداث القصة ؟ لربما رأى أن قدسية المكان ستضفي على القصيدة لمسة من العـــــفة و الوقار، و أنّ ربط العواطف الصّادقة بمكان طاهر يزيدها طهرا و عفافا و لا شك، خاصة بعدما لاقاه من نوى و إعراض من خليلته و هما في البيت الحـــرام، و هو بهذا لم يشأ بتاتا المساس بحرمة البيت .

يبـــــدو أنّ الشاعر وإن لم ينجح في استرضاء خليلته، قد نجح في ربط عواطفه بما حوله من جماد وحيوان، وكأن لذّة الاتصال بالطبيعة كافيـــــــة أن تؤدي شرح أحوالـــــه إلى أحبّته .

كما أن جوّا كبيرا من الحركية قد بثّ في النّص عبر الحوار الشعري الذي يعتبر صاحبنا من ألمع مستعمليه جريا على طريقه عمر ابن ربيعة في العصر الأموي الذي سلك في الغزل مسلك القصص : يصف النساء و يحكي حديثهـــن و مداعبتهن و يذكر أمره معهن . [1]

(1) أحمد حسن الزيات : تاريخ الدب العربي ، ص 159

و للمعترضين على الشاعر و ما قام به من تصرفات لا تليق به بصـــفة حاجا و لا بذلكم المقام الكريم نذهب إلى أن الأمر ربما يكون من خيال نفسه ووحي أفكاره . و حجتنا في ذلك أنه لا يمكن أن تظل نفس المرأة على مقربة من الشاعر طـــوال أيام الحج و في أماكن مختلفة، خاصة إذا ما تعلق الأمر بأداء مناسك الحج ؟ أوأنه ربما أوردها بحكم المقام ، و ذلك تيمّنا و استمساكا بها ، عسى أن ينال رضى الممدوح و يستميل أسمائه .

أمّا عن أسلوبه في هذا المقام القصصي الشعري فقد جاء سهلا بألفاظ أنيقة كما تميّز بحسن الوصف و شدة أسره و قرب فهمه و ملائمته لهوى النفوس، و لعل المثير للانتباه حقا هو أنك لا تجد في شعره ما تجده في شعر جميل أو كثير من الشعور العميق و الوصف الدقيق للحب ، و إنما اكتفى بأن يحادث و يتجمّل دون أن يفتح قلبه على مشاعر أعمق و معاني أدق .

ومع ذلك فالقصيدة بروحها القصصية المحبوكة تعـــد "ذرة" من ذرر الأدب الفائقة في هذا العصر[1] ، أسلوبها جديد و حوارها خفيف تبادلـــــه الطرفين بتحفظ و تعفف، ولذلك يعدّ ابن قاضي من أفضل شعراء المغرب المعروفين بالإجـــــادة، الموصوفين بالإحسان و الإقادة و قد وصفه ابن دحية الكلبي (-633 هـ) في كتابه المطرب بأنّه أشهر من دبّ بميلة و درج، و دخل بها و خرج [2]

(1) أ : رابح بونار : المغرب العربي تاريخه و ثقافته ، ص 320 .
(2) د: مختار حبار : شعراء الجزائر على عهد الدولة الحمادية ، ص 126

كما أن له أشعارا في أغراض متنوعةفهو شاعر مكثر على كل حال، و قد وجدت له في الغزل مقطوعة أبدع فيها على قلة أبياتها

محيا ترى الأتراب أشخاصها به جرى فيه رقراق النظارة مذهبا [1]
إذا زاره دو لوعة لاح شخصـــه إلى الحول في إفرنده منتصـــبا [2]
فاعجب بوجه حسنه من وشاتـــه ينم على من زاره متنقـــــــبا
بدت صور العشاق في ماء خذه فأغنت رقيب الحي أن يترقـــبا

إن هذه الأبيات على قلّتها حملت معاني رقيقة و اتّسمت بشعرية دفاقة،حيث يلمس فيها القارئ بعض الغموض اللذيذ ، في إعراض الشاعر عن نعت المسميات بأسماءها واختياره لغة خاصة في عرض الأوصاف التي وصلت إليه عن طريق الوشاة و هي أوصاف غير مادية تجنب فيها الوقوع في الماديـــــات و الحسّية فبدت مشعة و هي تكشف عن عفاف المرأة التي لا تظهر للأعيان إلا متنقبة .

وبالرغم من خلو المقطوعة من كل حوار، فهي مفعمة بالحركة لكثرة ورود الأفعال الموحية بالحركة و التنقل مثل زار– بدت – يترقب ، كما أنّ إثارة بعض التساؤل من خلال أسلوب التعجب الوارد في البيت التالث :"فاعجب بوجه حسن من وشاته " قد زاد من إشعاع النص كما قوى المعنى وزاده تأثيرافي النفوس.

(1) : المحيا : الوجه – الأتراب : ج ترب : القرين في السن – أشخاصها : أعيانها أو صورها
(2) لاح : ظهر – الحلول : حاذقه النظر – إفرنده : ضرب من الثياب .

و كثيرة هي النصوص الشعرية التي تغزّل فيها أصـحابـــها على اختـــلاف مستوياتهم ، فهذا الشاعر عمر بن فلفـــول[1] الذي يحاول من خـــلال خلق حوار اصطناعي في قصيدته، أن يناقش صبر المحبين : (الطويل)

و قالوا نأى عنك الحبيب فما اـــذي تراه إذا بان الحبيب المواصـــل ؟
فإن أنت أحببت التصبر بعـــده و لم تستطع صبرا فما أنت فاعل؟
فإنّ الهوى مهما تكنن في الحشـــا و حل شغاف القلب ليس يزايـل
فكم رام أهل الحب قبلك سلـــوة و ذادهم عنها هوى متواصـــل
فقلت : ألا للصبر مفزع عاشـــق للصبر أحرى بي و إن غال غائل
سأصبر حتى يفتح الله في الهـــوى بوصل حبيب طال فيه الطوائـل[2]

هذه المقطوعة الغزلية لطيفة الأسلوب ، جديدة المعاني ، وقد أراد الشاعر فيها أن يناقش صبر المحبين بواسطة حوار اصطناعي ذكر فيه أن محـــــاوريه قالوا فيه أن الحب إذا تغلغل في الفؤاد لا يمكن السلو عنه فكيف نفعل ؟؟.

الفقيه و الكاتب و الشاعر أبو حفص عمر ابن فلقول ، قال عنه العماد أنه كان كاتب يحي انب عبد العزيز الحمادي المتوفى بسلا سنة 558 و خالصته و صاحب سره و كان يعيش في النصف الأول من القرن 6

[1](الدكتور مختار حبار : شعراء الجزائر في عهد الدولة الحمادية ، ص 125) .

[2] شعراء الجزائر على عهد الدولة الحمادية ل مختار حبار ص 125 .–المغرب العربي ، تاريخه و ثقافته ، رابح بونار :ص 325

فأجابهم أنه يغالب لوعته بالتصبر و مكابرة الألم ، حتى يلين له قياد الحبـــيبة و تعود أيام الصفاء ، و قد أعاد الضمير على الحبيب مؤنثا في آخر القطعة لأنه أراد الحبيبة [3]

كما تضمنت الأبيات معاني الحوار : قالوا ، قلت ..و مع أنه حوار اصطناعي لقصيدة محدودة الزمن قد تحدث لأي كان،إلاّ أنّ الشاعر ابن فلفول استطاع أن يخرجها من نطاقها الذاتي الوجداني الضيق الخاص بالشاعر إلى نطاق أوسع يشدّ به كل قارئ .و ذلك بالدقة و البعد عن التفصيلات المطولة ، مع مراعاة جمـــــال الصنعة ، و صدق العاطفة و البراعة في الخيال لأنه ملزم باحترام وزن معين و قافية واحدة .

و يتلطف بعض الشعراء في إخراج المعاني و التفنن في التصوير ، فتظهر على قصائدهم الجدة و الطرافة و التطبع بالمعاني الرقيقة المؤثرة في القلب كقـــول النهشلي مخاطبا فتاة حضرية[1] :

غراء واضحة ينوس بقرطـــــــها

جيد حكى جيد الغزال الأعنـــــــق

صدّت فأغرت بالسجوم مدامـــــعي

و العين تذرف بالدموع السبـــــــق

تشكو البعاد إذا بعدت تصبـــــــرا

و إن ارتجعت إلى الزيارة تفــرق

[3] رابح بونار ، المغرب العربي تاريخه و ثقافته ، ص 325
(1) –العمدة لابن رشيق ، ج 2 ،ص110

و لقد يبيت أخو المودة لائمـــــــي

في حبّها لوم الشفيق المشفـــــق

حتى إذا طلعت فأبصر شخصـــــها

أخزى جهالة لائمي المستحمـــــق

كأن الشاعر في أبياته هذه يشتكي حاله ، و هو مع ذلك يتلذذ بعذابها حين مفارقه الأحبة و عزاؤه أنها ستطل عليه كالبدرليلة تمه، فتنسيه هموم الدنيا و يترك لأجلها كل الورى:

كم قطعت بوصلها من ليلـــة و بشرب صافيه كلون الزئبـــــق

يسعى بها كالبدر ليلة تمـــه سحار ألحاظ رخيم المنطـــــــق

آ ليت أترك ذا و تلك و هذه حتى يفارقني سواد المنطـــــــق[1]

- يحاول النهشلي أن يقرب أوصاف الخليلة على طريقه بعض الضالعين في هذا الفن من أمثال ابن زيدون . و ذلك بتوظيف التشبيهات كأفضل سبيل إلى تحقيق المقاربة ، فتراه ينثر تشبيهاته في كل مرة يذكر خليلته طلبا للرفع من منزلتها وإعلانا عن سموّ قدرها عنده، وكذا رغبة منه في تبرير هواه أمام لائميه ، و إن كانت تشبيهاته متداولة منذ العصر الجاهلي .كتشبيه جيدها بجيد الغزال، ووجهها بالبدر ليلة تمه .هذه هي الصورة الصحيحة للغزل لانبجاسه من أعماق فؤاده، وانبعاثه من طبيعة بلاده، و هو علاوة على ذلك صافي الديباجة يشرح العواطف و يزخر بالخيال ، حيث أن أبو الحسن النهشلي واضح التأثر بابن زيدون الذي

(1) المغرب العربي تاريخه و ثقافته ، صر 301 .

تقرأ في قصائده أروع ما خصت به الطبيعة الأندلسيين من وصف المنـــــاظر و شرح العواطف و سمو الخيال [2] و هو وإن ظهر على مدحه و فخره بعض علائم الضعف فإنك لا تجد ذلك في غزله أو تشوقه أو استعطافه .

وعفة الغزل عند شعراء الجزائر على عهد دولة بني حماد أمر لا يختلف فـيه اثنان ، فقد خلا جله أو كاد من التهتك ، و اصطبغ بصبغة العفـــــــاف و الاستحياء ، و ذلك لتمكن الروح الدينية منهم و احترام مكانة المرأة في المجتمع و جوهرها مثلما أشرنا إليه أعلاه حتى إنك لتجد بعض المقطوعات غامضة لا تتجلى فيها معالم التغزل إلا بعد تأويلها . فلا تبدو في ظاهر أمرها غزلا لأنها تقنعت وراء ستار من الوقار ، بتعميم المشاعر و تهذيبها .

كما في قول ابن مكوك الطيبي المتوفي قبل سنة (561 هـ)

ألا ليث شعري هل من الدهر عودة ليقرب ناء ليس له أيـــــن
تكدر صفو العيش منذ جد بينـــنا و أي إلتذاذ لا يكدره البيـــن
لعل الذي يبلي و يشفي من الأسى يعيد الذي ولى فكل به هيـــن
غدوت من الأيام في حال عســرة تطالبني دينا و ليس لها ديـــن [1]

نلحظ خفاء في إدراك الغرض ، إذ يحتمل أن يكون شكا متحسّرا أو فراق إلف كان يلذ له الحياة بجنبه ، فتكدرت صفوة العيش بالجفاء ، ليشتكي الشاعر حاله طالبا من المولى أن يتجدد زمان الوصل ، و قد يكون رمز بشكواه إلى غزل مقنع منعه الحياء و الوقار من أن يصرح به و كأنه يخشى افتضاح أمره .

(2) أحمد حسن الزيات ، .. – تاريخ الأدب العربي،ص331
[1] : د: مختار حبار : شعراء الجزائر في عهد دولة بني حماد ، ص 148 .

و في مقابل ذلك اعتمد بعض الشعراء على الأوصاف المادية في محاولة منهم للخروج عن النمط القديم ، فوقعوا بذلك في التقليد و التكلف من جـــراء اجترار التعابير الجاهزة ، كقول علي ابن الطبيب [1]في مقطوعته التي ما وجـــدنا لـــه غيرها (البسيط):

يا جملة الحسن هب لي منك إحسانا

إني أحبك أسرارا و اعـــــلانا

إني لعبدك لا أبغي بكم بـــــدلا

و لاأحب سواك الدهر إنسانا [2])

و عادة التذلل للحبيب و التعبد لجماله عادة مألوفة في شعر الغزل الأندلسي كقول الرمادي : [3]

أومأ لتقيل البساط خنـــوما فوضعت خدي في التراب خضوعا

ما كان مذهبه الخضوع لعبـده إلا زيادة قلبـــــه تقطيـــــعا [4]

يعيب النقاد هذه الأبيات على ما جاء فيها من غزل جاف متوسط الأسلـوب ، و قد خلت ألفاظه من الدقة و العذوبة ، إذ لم ينبع من عاطفة لاعها الهـــوى ، و آلمــــها الحرمان ، و إن تعبّد فيها للمحبوب [5]

(1) د : مختار حبار : شعراء الجزائر على عهد دولة بني حماد ص 117

(2) المصدر نفسه ص 117 –118

(3) الرمادي : أبو عمرو يوسف ابن هارون ، المعروف بالرمادي ، شاعر قرطبي مجيد سريع القول ، عاصر المتنبي ، توفي سنة 403 ه .

(4) بطرس البساني : أدباء العرب في الأندلس و عصر الإنبعاث ، ص 58

(5) : أحمد ابن محمد أبو رزاق : الأدب في عصر دولة بني حماد ، ص 161

كما نجد آثار التكلف بادية على مقطوعتي القلعي الأصم المبتورتين – فيما يبدو – فقد خفي معناهما بصفة عامة لبعدهما عن الأسلوب الغزلي الذي يقتضي الدّقة و التلطف فكانت الجمل ناقصة الوضوح ، بادية التكلف على الرغم من تخيّره الألفاظ، يقـــــول متغزلا في الأولى (الطويل)

بما استرقته من جفونك بابـــــــل بما عملت من مقلتيك المناصـــل
بوجهك ماء الحسن في صفاتـــــه كذكرك مني في الضمائر جائـــل
خذوني على التجريب عبدا فإن أكن أخاف أمرا فإطراح معاجـــــل
فما طويت إلا عليكم جـــوانـــح و لا بسطت إلا عليكم أنامـــــل[1]

و سبب هذا التعمل أن الشاعر غير مستهام ، يقول الجرحاني "و ترى رقة الشعر أكثر ما تأتيك من قبل العاشق المتيم " [2]فإن اجتمعت فيه الصبـــا بة و المكنة الأدبية ، أبدع و أسمع، و إلا فإنه واقع لا محـــالة في مغبة التكلف "و مع التكلف المقت ، و للنفس عن التصنع النفرة، و في مفارقة الطبع قلة الحلاوة وذهاب الرونق و إخلاء الديباجة " [3]

أما المقطوعة الثانية فهي من بيتين (الكامل) .

إياك من حتف يسيم بطرة من حاسر في حسنه مستلئم
فمصارع العشاق بين جفونه أنظر تجد في خده أثر الدم

(1) الأدب في عصر دولة بني حماد ، ص 250
(2) الأدب في عصر دولة بني حماد ، ص 250
(3) القاضي الجرجاني أبو الحسن عبد العزيز : الوساطة بين المتنبي و خصومه ، ط1 ، دار إحياء الكتب العربية – القاهرة 1954 . تحقيق محمد أبو الفضل على اليحاوي ، ص 17

و قد استقبح النقاد الصورة الواردة في عجز البيت الأخير – لأن النفس تنفر من صورة الدم على الخد. كما لم تسلم هذه القطعة من التعقيد بحشو الألفاظ المختارة قصد تزينها مثل : الطرة – المستلئم – مصارع العشاق – جفونه .

يبدو أنّنا تعمدنا ترك غزل ابن رشيق إلى آخر المطاف لتميّزه أكثر من غيره بالتهتك والاعتماد على الأوصاف المادية من شعر و عيون وماسواها وذلك بخلاف ما أوردناه من مقطوعات .ويعد ابن رشيق مثال الاستهتـــار و المجون ، بعد أن عرف بواقعية كبيرة في وصف مجالس اللهو بالقيروان رفقة شلة من جلساء السوء.

ولهذا نجد أنّ معظم مقطوعاته يطغى عليها الجانب الجسدي المادي ، الذي حلاه بالتشبيهات الطبيعية المألوفة، كما غاص في لجج روحه فوصف لوعة نفسه في عشقها و اشتياقها ، و من ذلك قوله :

و مهفف يحميه عن نظر الـــورى غير أن سكنى الملك تحت قبابه
أومأ إلي أن آتـــــــــي فأتيته و الفجر يرمق من خلال نقابـــه
و ضممته للصدر متى استوعبت مني ثيابي بعض طيب ثيـــابه
فكأن قلبي من وراء ضلـــوعه طربا يخبر قلبه عمـــــــابه [1]

و يجد ابن رشيق أحسن الأوقات تلك التي يقضيها بقرب خليلته :

و من حسنات الدهر عندي ليـــلة من العمر لم تترك لأيامنا ذنب
خلونا بها ننفي القدى عن عيوننا بلؤلؤة مملوءة ذهبا سكـــــبا [2]

(1) عمر ابن قينة : أدب المغرب العربي قديما ، ص 80
(2) المصدر نفسه ص 81 .

كان ابن رشيق يشعر لنفسه أحيانا ، فيعبر عن نزوات حسه بغـــــزله ، و يشرح فيه عواطفه فيتذبذب في شعره تذبذب النفس المتقلبة في أحوالها ، لذا تقرأ في شعره بعض سمات الضعف النّفسي و الديني حتى شبّه في ذلك "بأبي نواس " بفحش مجونه ، و صراحة قوله ووصفه الخمر وصفا .

و لعل ابن رشيق قد حاول أن يثور في المغرب ثورة أبي نواس في المشرق فلقي ما لقيه صاحبه من استنكار و استنفار و لا ريب . لأن هذه الطريقة التي سلكها ابن رشيق كانت جناية على الأدب بالمغرب ووصمة في تاريـــخ شعر العرب، خاصة عندما تشبّب بالجواري و نظم في الغلامـــيـــات و الغلمان و بالغ في وصف مجالس الشراب ، و من ذلك قوله في غـــــلام أو جارية من صبرة .

بنفسي من سكان صبرة واحـــد هو الناس و الباقون فضـــــول
عزير له نصـــــفان ذا في إزاره سمين وهذا في الوشاح نحيـــل
مدار كؤوس اللحظ مكـــحل و مقطف ورد الخد منه أسيـــل [1]

و قوله في غلام :

إذا زارني يوما على خلـــــوة أوزرتـــــه في موضـــع خـــال
كنت له رفعا على الابتـــــداء وكان لي نصـــبا عـــلى الحـــال
إنـــي لقـــيـــت شقـــــه فابعـــث إلـــي شـــقـــــــــه
كمـــثـــل وجـــهـــك حسـنا و مثـــل ديـــنـــي رقـــــة

[1] المغرب العربي ، تاريخه و ثقافته ، ص 313 .

وقد اقتضى الحال هنا أن يكون نظمه على الأوزان الخفيفة و البحور القصيرة، كأن أوزان العروض قد ضاقت عما تقتضيه رقة الحضارة التي تمكنت من نفسه ، بما حملته من بذخ و إغراق في الملذّات .

لم يتبع ابن الرشيق في استهتاره هذا إلا زمرة قليلة من جلساءه و ندمائه من بعيد أو قريب ، فلم نعثر إلا على بعض القطع الشعرية الماجنة ، منها واحدة لأبي مضر محمد ابن الحسن الطبني المتوفي 394 هـ ينقل لنا فيهاانغماسه في تعاطي الخمر و التهالك على اللذّات، لكنه لم يبالغ فيها مبالغة ابن رشيق ، يقـول

اجتمعنا بعد التفرق دهـــــــرا فظللنا نقطع العمر ذكـــــــرا
لا يراني الإله إلا طريـــــــحا تلقي الغصون حوالي زهـــرا
قائلا كلما فتحت جفونـــــــي من نعاس الخمر ، زدني خمرا

وقد يصفها الشاعر مترفعا عنها و يبلغ مع ذلك مبـــــــــلغ الإجادة في الوصف و الإبداع ، كقول ابن حمديس مترفعا :

أصف الراح و لا أشربـــها و هي بالشد و على الشرب تدور
كالذي يأمر بالســـكر و لا يصطلي نار الوغى حيث تفور [1]

و بكلمة ، نقول أننا لم نعثر على شيء ذي بال من شعر الغزل حتى نستطيع أن نحكم علىالبعض من جوانبه الفنية حكما دقيقا فأين نحن و هذه القطع المبتورة ، من أشعار الشعراء العذريين و من قصائد ابن زيدون لولادة بنت المستكفي و من التراث الهائل الذي تركه لنا الشعر الجاهلي والأندلسي .

(1) تاريخ الأدب العربي : أحمد حسن الزيات ، ص 332

وحسبنا أن نأنس بالتّمني لربما تبري لنا الأيام عما نحن نجهل ؟ فلربما لا يظل القسم الأوفر مطمورا مغمورا إلى أن يظهر للوجود، خاصة أمام المجهودات المشكورة التي يبذلها كبار أساتذتنا في هذا المجال، و خوفنا كل الخوف أن تكون قد أحرقت بنيران الحروب أو يكون قد عبث حياء الشعراء برمادها ، لاعتبارات دينية .

أما عن ابن رشيق الذي كان في مجونيته صريح القول و الفعل غير مبال أين يقع ذلك من الناس، مقلدا بذلك "أبو نواس " و ما كانت عليه طائفة الشعراء من النعمة و الثراء الكاذب الذي استهواه فظل يشدو مقلدا، و يتغزل متمردا، حتى نال التقليد من صفاء أشعاره ، فقد ردت إليه أشعاره ردا.و نكتفي بالقول هنا : "شتان ما بين ما يصدر عن طبع و بين ما يصدر عن تقليد . " .

2) شعر الحنين و الشوق إلى الأوطان :

كان سكان المغرب من برابرة و عرب يتعشّقون الجمـــــــال في أرضهم و يفتخرون بعمرانها ،و ممن اشتهر بذلك نجد ابن حمديس الذي تتفنن في وصف مراسم الجمال و مراكز القوة ، كما اشتهر البعض الآخر برثاء الممالك البائدة كبكر ابن حماد التاهرتي ، و ابن رشيق المسيلى القيرواني الذي رثى القيروان حين خرّبها بنو هلال حوالـــــي 449هـ ، في القطعة الآتية ، و هي مجتزأة من قصيدة مطولة :

حتى إذا الأقدام حمّ وقوعـــــــها و دنا القضاء لمـــــــدة وأوان
نقضوا العهود المبرمات وأخـــفروا ذمم الإله و لم يفوا بضمـــــان
فاستحسنوا غدر الجوار و آثـــــروا سبي الحريم و كشفة النســـوان

و يقول في آخر القصيدة :

و غدت كأن لم تفن قـــط و لم تكن حرم عزير النصر غيـــر مـــهان
أمست وقد لعب الزمان بأهـــلـــها و تقطعت بهم عرى الأقـــــران
فتفرقوا أ يدي سبا و تشـــتـــتـــوا بعد اجتماعهم على الأوطـــــان [1]

في هذه الأبيات لوعة صادقة ، وتفجع أليم ، وقد زادتها عاطفتها الدينية روعة والتياعا ،كما برزت في هذه الأبيات معالم الرثاء في الشعر الجزائري على عهد دولة بني حماد ،فمن حكم ساذجة وضرب أمثال لاستهلال القصيدة، إلى ذكر الشعوب السالفة التي أهانها الدّهر، إلى إمعان في تعظيم الأرض حتى الإغـــــراق.

[1] : المغرب العربي تاريخه و ثقافته : ص 318 .

و هذا ما تميزت به قصيدة رثاء الممالك عند شعراء الأندلس ، خاصة قصيدة أبي البقاء الرندي التي بكى فيها على مدن الأندلس بعد أن استردها النصـــــــارى و أزعجوا عنها المسلمين. و على طريقه "أبي البقاء " رثى ابن رشيق القيروان ، بعد أن دمّرتها يد الغدر التي لا ذمّة لها و لا عهد، فصارت جثة هامدة بعد طول بقاء و قد تبددت أيام العيش فيها بعد أن أضحت خرابا و قد انتهكت حرمة نسائها و تشتت أطرافها .

وأنت إن شئت أن تلمس حب الوطن في الشعر العربي ، فاطلبه عنه شعراء المغرب و الأندلس ، فإنه ممتزج بكل علقة من دماءهم، مصور في كل جارحة من جوارحهم ، فالأندلس قبلة شاعرها كيف اتجه و أنى اغترب ، لا ينقطع عن ذكرها ، و لايرى بلدا في الدنيا يضاهيها فجمالها عنده فوق كل جمال وعمرانها دون كل عمران .

و في نفس ابن رشيق و روحه المغربية شبه كبير بالأندلسيين في طريقة حبهـــم لأوطانهم و كذا في طريقة إعرابهم عن ذلك .

إن الحديث عن جزائر بني حماد و المغرب بعامة لا ينقضي دون الحديث عن نيران الحروب المتوالية و الفتن السياسية، في مقدمتها الاستبداد و عصبية القبائل .لذلك لم ينعم أهل المغرب بالأمن و لا بالاستقرار، و قد باتت الحروب أمرا لا مفر منه، حيث كثرت الوقائع بين حماد و ابن أخيه من جهة ثم بين حماد و الهلاليين من جهة أخرى، ناهيك عن الفتن الدّاخلية التي أثارها المسلمون بعضهم على بعض كالحملة الهلالية على المغرب .

و أمام كل هذه المآسي وقفت قرائح الشعراء تشدو ألحانا حزينة حافلة بأنواع الآهات النابعة من عمق الروح المغربية الجماعية، و من مظاهر التذمر تلك القصائد التي نظمت في مجالات عديدة منها :

الشكوى و الاستعطاف – التذمر من الدهر وأهله – وصف الحال عند مفارقة الأحبة – الحنين إلى الأوطان و رثاء الممالك البائدة .

و لنا في هذا المجال وقفة أمام نماذج متعددة ؛ ذلك أن الشعراء كانوا يفارقون أهلهم طلبا للمال مخلّفين وراءهم أموالهم و بنيهم ، فيشتدّ الشوق بهم في ليالي الغربة المظلمة . كمحنة الشاعر عبد الله ابن سلامة الذي ولد ببجاية و التحق بأرض الكنانة و أقام بمصر و الصعيد و الريف [1]

رحل الشاعر إلى مصر طلبا للعلم وأقام في أماكن شتى من أرجائها ، فلم يجد أينما حلّ و ارتحل ما يخفّف من غلواء بؤسه و شقاءه الذي انفضّ عليه من غربته ووحشه ، فتضاعف بؤسه بما حلّ به من فقر و حرمان و استهانة النّـــــاس بشأنه، و قساوة قلوبهم على المحاويج من أمثاله . و ما كان أشدّها عليه ألما، من أواصر الجوار و الإنسانية و الأخوة و الكرم التي لا معنى لها عند هؤلاء القوم ، فلم يجد بدّا من أن يطلق عليهم ما في كنانته من سهام هجـــــاءه و سخره قبل أن يفارقهم فقال : (البسيط)

(1) : شعراء الجزائر على عهد دولة بني حماد : ص 88 .

لي حرمة الضيف لو كنتم ذوي كرم و حرمة الجار لو كنتم ذوي حسـب
لكنكم يا بني اللخناء ليس لـكـم فضل و لا أنتم من طينة العـرب[1]
كم لا أزال على حال أساء بـها منكم و أغيض على الفحشاء و الديب[2]
لأتركن لكم أرضا بكم غرقـت فأخبث البوم يأوي أخبث الخـرب
و مامقامي بأرض تسكنون بـها منّي يطيب و لكن حـرفة الأدب [3]

لم يكن حال القادم إلى المغرب بأحسن من حال الخارج منه، كما يبـدو من مقطوعة أبي الحسن الأشوني[4] التي وصف فيها حاله حينما دخل الجـزائر آتيا من الأندلس ، إذ لم يحسن إليه أهل جزائر بني مزغنة و هو الذي قصـدهم طلبا للقوت و قضاء الحاجة، فخاب ضنه و أنشأ يقول : (الكامل)

يا ويح ناء شط من أحبـابـه و سقاه طول البعد مرّ شبـابـه
قدفت بي أيدي النوى في معشـر لم يحفلوا طيرا بعظم مصـابـه
يمسي و يصيح هائما متحيّـرا قد عضّه صرف الزمان بنـابـه
ما زال يجعله دريئة سهـمـه حتى غزاه بشـريه و بصـابـه

و منها قوله :

أمّ الجزائر كي يراه ملطفـا يكسو الذي يشكوه من أوصـابـه
فإذا الأنام غدو بثدي واحـد في كل قـطـر آهل بسحـابه
حقا لقد ذهب الكرام مـن الورى لم يبق إلا كـل جلـف جـابه

(1) : اللخناء : اللتنة.لخن الرجل : تكلم بقبيح .
(2) أغضى : أبصر و أمسك عنه عفوا .
(3) : شعراء الجزائر في عهد دولة بني حماد ص 89 و الجزائر في التاريخ (العهد الإسلامي) ، ص 253 و هو نحوي و لغوي و أديب شاعر (شعراء الجزائر في عهد دولة بني حماد ، ص 1)
(4)): أبو الحسن علي ابن شعيب الأشوني الأندلسي المتوفي بالجزائر سنة 537 هـ . و هو نحوي و لغوي و أديب و شاعر (شعراء الجزائر في عهد دولة بني حماد ، ص 1)

و الملاحظ أن بلاد المغرب كانت ملجأ قريبا للاجئين فرارا من لظى الحروب بالأندلس من عامة الناس و خاصتهم . و كان عز الدولة ابن صمادح من بين أسيادها الذين و جدوا يد العون و المساعدة عند ملوك المغرب ، و ذلك لما كان بين المنصور الحمادي و والد عز الدولة ابن صمادح من صلة ، حيث أوصى المعتصم[1] أولاده أو أحد أولاده بأن يلتحق ببلاد بني حماد [2] .

لقد أرغم عزّ الدولة ابن صمادح على ترك ملكه و اللجوء إلى بلاد أخرى ليعيش كعامة النّاس ، فلما هاجت في نفسه الذكريات و استوحش و لم يجد بالمغرب من يؤنس غربته ، و هذا شأن كل قريب عن أهلـــــــه ، نظم الشعر ليخفف من آلامه ، و له مقطوعات نتعرض إلى واحدة منها بالذكر ، و هي على العموم تتضمن ألمه و حرمانه و شكواه من الدهر . يقول عز الدولة مستعطفا ، آل حماد [3] : (الطويل).

لك الحمد بعد الملك أصبح خاملا بأرض اغتراب لا أمّر و لا أحلي [4]
و قد أصدأت فيها الهوادة منصلي كما نسيت ركض الجياد بها رجلي [5]
و لا مسمعي يصغي لنغمة شاعر ويدي لا تمتد يومـــــــا إلى بذل
طريدا شريدا لا أؤمل رجعة إلى موطن بوعدت عنـــه و لا أهل [6]

(1) : المعتصم ملك المرية : و هي مدينة على سا حل اسبانيا كانت المملكة
(2) : الأدب في عصر دولة بني حماد : ص 341 .
(3) : المصدر نفسه ص 346 - وشعراء الجزائر في عهد دولة بني حماد ص ، 90-91
(4) خاملا : لا تبا هة له ، لا أمر و لا أحلي : لاأضر و لا أنفع .
(5) الهوادة : المحاباة -
(6): أومل : أرتجي

و بين زمن الحاضر و زمن الماضي نجد الشاعر يتخبط في حالة نفسية محبطة رصدتها لنا هذه الأبيات :

و قد كنت متبوعا فأمسيت تابـــعا لذى معشر ليسوا بجنسي و لا شكلي [1]
يخوضون فيما لا أرى فيه خائـضا و قبلهم قد أقصـدت مقتل النـــبل [2]
و قد كنت غرّا بالزمان و صـــرفه فقد بان قدر العزّ عندي و الـــذّل [3]
عزاءا فكم ليث يصـاد بغيـــلـة و يصبـــح بعد النشاط لفي حبل [4]

و قال في عظم الهم عليه [5] (البسيط) :

إن يسلم الناس من هم و من كـــمد فإني قد جمعـــت الهـم و الكمدا
لم أبق منه لغيري ما يحـــــاذره فليس يقصد دوني في الورى أحـدا

و هذا النوع من الشكوى يكاد يتصل بالرثاء لما فيه من بكاء على الماضي و تألم من الحاضر ، و يكاد يختص بطبقة الملوك و الأمراء و الوزراء لما ينالهم من النكبات المفاجئة و المحن فيهبطوا من بعد رفعة ، و يذلوا من بعد عزّة .
و شعر الشكوى إذا جاء عن الملوك فيه إباء و عزة ، و فيه رصانة الشـــاكي و كبر النفس المتظلمة ، إلى جانب هذا فقطعته ابن صمادح بليغة ، بها لوعة صادقة و تفجع أليم،و قد زادتها عاطفته الدينية في مستهل القصيدة روعـــــة و التياعا حيث تجلت فيها سمات الرثاء الأندلسي ، من حكم ساذجة و ضرب للأمثال ، إلى ذكر إهانة الدهر في الماضي ، و إمعان في أمور الحاضر .

(1) قصد لجوءه في دولة بني حماد .
(2) : أقصدت : طعنت قلبي فلم تخطئ موطن القتل .
(3) غرا غافلا و لا خبرة له ، صرفه ، نوائبه
(4) غيلة : من حيث لا يدري .
(5) : شعراء الجزائر على عهد دولة بني حماد : ص 91 .

توالت الأحداث داخل المقطوعة لتصنع جوّا أليما ابتدأه الشاعر بوصـــف حاله و التوجع عليها و على ما خسره من مـــال و جاه، وقد اشتاق ركـــــــوب الجياد ، و الاستمتاع بمجالس الشعراء. لكن الشاعر مع شدة لوعته و استياءه يخضـــع لله و قدرته ، حين يعترف لنفسه بعدم خبرته بصروف الدهر،وحمده لله. و كان ختام القصيدة بالسلو عن أحداث الزمان بذكر حال الأمير وقد مثّلها بحال الأسد الذي يصبح بين ليلة و ضحاها سجين الحبال و قد كان سيد الغابة من قبل ذلك ، يصول و يجول في عـــزة ووقـــار .

في القصيدة تضارب واضح بين الحاضر و الماضي في شكل أفعال للحاضر و أفعال ماضية ، و أفعال مبنية للمجهول . لكل منها دلالتها الخاصة :

- الأفعال الماضية : (أصدأت – نسيت – كنت – أمسيت – بأن)
- أفعال الحاضر : أمر – أحلي – يصغي – لا تمتد – لا أؤمل – يخوضون – لا أرى – يجوز – يصبح) .
- الأفعال المبنية للمجهول (أصبح – بوعدت – يصاد).

تنقسم مأساة الشاعر إلى ثلاث مراحل :

- مرحلة ماضية أولى : عبر عنها بأفعال الماضي البعيد ، حيث كان صاحب الأمر و النهي ، عزيزا كريما يفعل في أمور ملكه ما يشاء .
- مرحلة ماضية ثانية : و هي مرحلة أقصر عبّر عنها بالأفعال الماضية المبنية للمجهول ، و هي المدّة الزمنية التي خسر فيها كل أملاكه ، باستيلاء المرابطين عليها وإبعاده عن أرضه .

-مرحلة الحاضر : و هي أكثر المراحل صعوبة ، عبر عنها بأفعال الحـــاضر و قد أكثر من استعمالها ليؤكد الحزن الذي يعصر قلبه فهو الآن في حالة ثابتة غير متحركة ينظر إلى توالي الأحداث قبل أن تؤول إلى ما هي عليه فتستقر به في عالم غير عالمه ، و أهل غير أهله فيعود ليجتر الماضي فيغص من شدة الحسرة و الألم .

نترك ملكنا المخلوع و مأساته إلى قصيدة رائعة للشاعر الفقيه و العـــالم أبي الفضل يوسف بن محمد المعروف بابن النحـــــــوي المتوفي سنة 513 هـ بقلعة بني حماد [1] .

يقول صاحب "المنفرجة " في مدح مصروالحنين إلى طيب أرضها : [2](الخفيف)

أين مصر و أين سكان مصـــــر بيننا شقة النـــوى و البـــــعاد
حدّثاني عن نيل مصـــــر فإنني منذ فارقته إلى المـــاء صـــاد [2]
و الرياض التي على جانـــبيه و اجعلاه من الأحـــاديث زادي
رقّ قلبي حتى لقد خلـــت أنني بين أيد الـــزوار و العـــواد
ما تراني أبكي على كـــل ربع ما تراني أهيـــم في كـــل واد

ثم يقول :

(1) : شعراء الجزائر على عهد دولة بني حماد ، ص 149 .
(2) صاد : شديد العطش .

إن مصر لها معان لعمـــــــري قد تأبت على جميع البـــــــلاد
هذه الأرض إنما هي نـــــــاد مصر من بينها سراج النـــــادي
أسعدني يا صاحبي على هــــذا البكاء ، حاجتي إلى الاستعــــداد .

لقد أجاد في نظم القصيدة مبديا شوقه و حنينه إلى مصر و آثارها في أسلوب جزل الألفاظ رقيق المعاني ، حسن التأثير في النفس . لكنه بالغ حين فضل رواشن النيل على دجلة و الفرات .

كما يبدو أنه كثير التأثر بالقرآن الكريم لفظه و معناه ، فهو كثير الاقتباس من القرآن ؛ و يظهر ذلك في قوله :" ما تراني أهيم في كل واد" . و هو متأثر بسورة الشعراء في قوله تعالى :" **و الشعراء يتبعهم الغاوون ألم تر أنهـــم في كل واد يهيمون** " (1)

وعلى العموم فالشعر المغربي حافل بشعر الحنين والشكوى مــــن نوائب الدهر ،وبخاصة منه الشعر الحمادي ،والمظان المتخصصّة في الأدب المغربي القديم مترعة بنماذج أخرى لم نوردها هنا لضيق المكان .

(1) : الآية (223-224) من سورة الشعراء ، برواية حفص .

الفصل الثاني

شعر الوصف

شعر الوصف

- إضاءة
- الحضارة على عهد الحماديين
- ظاهرة وصف القصور(ابن حمديس نموذجا)
- مقاربة تحليلية لقصيدتي بن حمديس

إضـــــــاءة:

إن أ وّل ما ينبغي الإشارة إليه هو أن الفتح الإسلامي كان توثيقا لما انفصل عبر الأزمنة بين أبناء المغرب العربي، إذ تمّ التلاحم والتآزر بين الأفراد والجماعات بفعل ذلك الامتداد الحضاري والتشابه المصيري، وبفضل سلاسة الإسلام ومرونته في تطويع النفوس وإذابة النعرات الإقليمية والعرقية.

وقد كان لهذا التلاحم بين شعوب المغرب العربي أثره الخاص في نفوس الأفراد بما فيهم الأدباء حيث ساد بينهم إحساس بالوحدة تولّدت عنه رغبة شديدة في التآزر والتلاحم.

إن الدّارس لحضارات القرن الخامس الهجري بالمغرب العربي وحتّى لما قبل ذلك يلمس تقاطعا وتشابكا من مناحي عدّة، ذكرتها كتب التاريخ، أمّا كتب النقد والآداب فقد نقلت وصوّرت لنا مظاهر هذا التلاحم المختلفة، فتحكي لنا مثلا عن تيار الهجرة الّذي لم ينقطع بين الدول العربية عامّة والمغاربيّة خاصّة، فالقاطن بالقيروان كالقاطن بالقلعة والضاعن من القلعة يجد له ملجأ قريبا أينما شاء بين المدن المترامية آنذاك على السّواحل أو بالداخل أو حتّى بالجنوب.

لم يغفل جمهور الأدباء والنقّاد المغاربة عن أمر هذه البعثات العلمية والتحرّكات الأدبيّة، وذكروا لنا فيما ذكروا أنّ القيروان كانت أوّل مدينة إسلامية

بالمغرب، ازدهرت بالعلوم الدينية واللّسانية فكانت مركز إشعاع علمي وحضاري، تشدّ إليه الرحال ويؤمّه طلاّب العلم من الدول المجاورة خاصّة.

ثمّ سطع نجم الأندلس أيّام عزّها، وكثر الحديث عن طبيعتها الناعمة وحضارتها الراقية و عمرانها الساحر، وأصباغها وألوانها فبدأ الشعراء يؤمّون أرضها من كلّ حدب وصوب طلبا للآداب والفنون الراقية، كما هاجر الكثير من أبناء المغرب نحو المشرق العربي، خاصّة من المغرب الأوسط.

والسفر في طلب العلم يقول صاحب كتاب الأدب في عصر دولة بنى حمّاد[1] خصلة جميلة في كثير من الجزائريين قديما وحديثا، منهم من يطيب له المقام بمكان هجرته فلا يعود تاركا وراءه أهله ودويه ومنهم من يرجعون عملا بقوله تعالى:" **وما كان المؤمنون لينفروا كافّة فلولا نفر من كلّ فرقة منهم طائفة ليتفقّهوا في الدّين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلّهم يحذرون** " [2]

ويضيف أنّه من الطبيعي أن يكون بمملكة بني زيري بتونس والجزائر علماء وأدباء كثيرون ويبقوا موجودين بهذا الإقليم غير متأثّرين بانقسامهما فيما بعد إلى دولتين، بخروج حمّاد عن ابن أخيه باديس وإنشاءه دولته الحمادية، لأنّ العلم لا يتأثر بالحدود الإقليمية ما دام أهله أحرارا.

يكاد العصر الحمادي على اختلاف أحواله ووجوهه يحتوى ميزة واحدة في السياسة والاجتماع يتلوّن بها من أربع نواح مختلفة وهي: الحروب والاستبداد،

---

[1]:أحمد بن محمّد أبو رزّاق، الأدب في عصر دولة بني حمّاد، الجزائر، 1979، ص 145 ــ 146

[2]الآية 166 من سورة التوبة، برواية حفص ابن سليمان

والحريّة والتساهل، وقد كانت هذه الحروب المتتالية سببا مباشرا في انصراف العديد من الأدباء والعلماء عن التّأليف والتّدوين بل وفرارهم أيضا إلى مناطق أكثر أمنا واستقرارا مع أنّ الاستقرار بات في ذلك العصر عملة نادرة.

ومع ذلك تمخض في خضمّ كلّ هذا أدب مغربي محض نتج مباشرة بعد التّعزيز الذي أبداه ملوك المغرب عامّة للأدب والفنون، إذ ترينا المصادر بعضا من آثار الحال العلمية والأدبيّة آنذاك، خاصّة بالقيروان ثمّ القلعة فبجاية.

ولابد أن نوضّح قبل الخوض في معالم الحياة الأدبيّة، أنّ المجتمع المغربي كان على قدر كبير من التّدين، وأنّ قاعدة الهرم الدّيني بالمغرب الأوسط كانت إسلامية إلى درجة تعظيم الفقهاء، ومع ذلك فقد دلّتنا النصوص التاريخيّة أنّ عصر بني حماد كان أظهر العصور الإسلامية في تاريخ حرية الأديان بالجزائر منذ الفتح الإسلامي إلى غاية القرن الخامس الهجري. [1]وهكذا نجد الأمر عند أبناء عمومتهم وأقربائهم من ملوك صنهاجة بالقيروان، فقد كان للمسيحيّين هناك حريّة مطلقة لإعلان عقيدتهم وتعاطي شعائر دينهم علنا، حتّى أننا لنرى الأمير تميم ابن المعز ابن باديس الصّنهاجي يخاطب حضيّته المسيحيّة متغزّلا:

أليس الـــلــه يعلم أنّ قـلـبـي	يحبّك أيــّها الوجــه المليـــح
وأهوى لفظك العـــذب المفدى	إذا درس الّـــذي قــال المسيـح
أظاهر غيركم بالـــودّ عمـــدا	وودّكم هو الودّ الصـحـيـــح

(1): تاريخ الجزائر العام، عبد الرّحمن بن محمد الجيلالي، ج 1، ص290.4: العماد الأصفهاني، خريدة القصر، قسم شعراء المغرب، ط تونس 1966، ص146.

وفيكم أشتهي عيـــــد النصـــارى وأصواتها لها لـــحـــن فصيـــح [2]

ونخلص من كلّ هذا إلى أنّ الدولة الحمادية كانت على اتصال دائم بباقي شعوب المعمورة، على اختلاف دياناتهم وأصولهم، ويعزى ذلك بشكل واضح إلى الانفتاح الكبير الذّي ميّز أمراءها طوال فترات الحكم المتوالية .كما تبيّن لنا أن جغرافية جزائر بني حماد المنفتحة على العالم الأوروبي شمالا وعلى إفريقيا جنوبا قد هيّأ لأهلها كلّ أسباب التواصل والتلاحم مع باقي دول المغرب والأندلس وكذا باقي دول المعمورة .

ونحن نعلم أنّه لولا جهود الأمراء وتشجيعهم لحركات التعايش السلمي بين الناس على اختلاف مللهم وأصولهم لما تحقق هذا التزاوج بين المسيحية والإسلام على وجه الخصوص .

الحضارة على عهد الحمّاديّين :

ظلّ المغاربة يولوّن وجوههم شطر المشرق في أكثر شؤونهم لأنّه مطلع أنوارهم ومهد حضارتهم ولأنهم يرون في أهله المثل الأعلى الذي ينبغي الإقتداء به، فاقتفوا آثارهم وراحوا ينسجون على منوالهم، ولم يلبث هذا التقليد أن صار منافسة فكاثروهم في إنشاء المدارس ودور العلم وتنشيط الحركات العلميّة.

---

[2] المصدر نفسه ، 290

بلغت الدولة الحمّادية غداة منتصف القرن الخامس الهجري أوج حضارتها وغاية عمارتها فغصّت برجالات الأدب والفنون وزهت بما افتتن به الناصر ابن علنّاس من تشييد المناظر و إقامة الدور وتفخيم القصور وعقد القباب العجيبة

وتزيين ذلك بما عرف عن اليد العاملة المغربيّة المتفنّنة في روائع النّقش وبدائع الزّخرف، وتوشية الزّجاج بالمنمنمات على اختلاف ألوانها وأصباغها، التي ينعكس ضوءها على الرّخام المصقول الّذي يقابله أعلى السّقف بلاط مدهّن وفسيفساء جميلة.إذ دلّتنا النّصوص التّاريخية على انتشار فن التصوير والتّنميق والنحت والنّقش على الخزف والزّليج المزيّن بالخطّ العربي والفسيفساء على اختلاف أشكالها في مدينتي القلعة الّتي أسّسها الرّجل الدّاهية حمّاد ابن بلكّين سنة 400 هـ ،وبجاية الّتي أسسها النّاصر ابن علنّاس سنة 460هـ وخلفه فيها ابنه المنصور ر وسار على دربه[1]

ذكر صاحب الاستبصار النّاصريّة فقال: وفي بجاية موضع يعرف باللؤلؤة.... فيه قصور من بناء ملوك صنهاجة لم ير الرّاءون أحسن منها بناء ولا أنزه موضعا، فيها طاقات مشرفة على البحر عليها شبابيك الحديد والأبواب المخرّمة المنحنية والمجالس المقرّضة المبنيّة حيطانه بالرخام الأبيض من أعلاها إلى أسفلها قد نقشت أحسن نقش وأنزلت بالذهب والأزورد وقد كتبت فيها الكتابات المحسنة وأنزلت بالذهب وصوّرت فيها الصور الحسنة ما جعلها قدوة لمنشآت النورمان بصقلّية وغيرها [2]

---

[1] عبد الرحمان ابن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج1، ط 4،بيروت سنة 1980ص292

[2] المصدر نفسه ،ص

ومن بين القصور الّتي احتفظ لنا التّاريخ باسمها وصفاتها: قصر اللؤلؤة الّذي قال عنه ابن خلدون أنّه من أعجب قصور الدّنيا، وقصر النّزهة الّذي بناه يحي ابن عبد العزيز الملك الأخير لدولة بني حمّاد، وقصر أميمون، والمنار

والكوكب والعروسين وقصرا لسلام وقصر الأمراء وقصر بلارة زوجة الناصر، كلها كانت آية في الحسن والجمال فكانت نموذجا صادقا لارتقاء فن العمارة والزخرفة بالمغرب العربي.

كما وجدت الحضارة العربية الإسلامية بمصر وبلاد المغرب سبيلا للانتشار في ظلال الأمراء الّذين ظلوا يسترشدون بوحي العبّاسيين في السّياسة والأدب والفن برهة من الزمن ،وذلك لكون المشرق مطلع أنوارهم ومهد حضـــــــارتهم ،ولأنهم يرون في أهله المثل الأعلى الذي ينبغي الإقتداء به، فراحوا ينسجون على منوالهم ويقتفون آثارهم، ولم يلبث هذا التقليد أن صار منافسة فكاثروهم في إنشاء المدارس والكتاتيب وتعزيزها بمكاتب عامة وبناء الدور والمدن وتزيينها بالقصور و الحدائق والرياض، فرفعوا مجد الفنون ونشّطوا حركة الــتأ ليف وبلغت دولة الحمّاديين من كلّ ذلك الحظ الموفور في عصر الناصر ابن علناس الذي بلغت به دولة بني حماد أوج سلطانها وتمام عمرانها. فكان عصر بجاية الذّهبيّ الذّي كادت أن تضاهي فيه القيروان أيّام عزّها خاصّة بعد نضج العقلية المغربية واستعار النهضة الأدبية.

ويمكن القول إنّ بجاية بلغت أوج حضارتها أدبا وسياسة وعمرانا على عهدي الناصر والمنصور، ولكن تمام الشّيء كما يقال مبدأ نقصانه، إذ بدأت

الدولة الحمادية تتهاوى تحت وطأة الفتن وتهور الحكام. ولبثت تقاوم ذلك حتّى هاجمها عبد المؤمن ابن علي على عهد يحي ابن عبد العزيز واحتل عاصمتها

بجاية سنة 574.هـ أمّا ملكها المخلوع هذا فقد عاش في كنف الموحّدين حتى توفي بمراكش سنة 558 هـ [1]

ظاهـــرة وصـــف القصـــور :

عندما نتحدث عن الوصف قد يتبادر إلى أذهاننا ذلك الوصف الحسّي المباشر للطبيعة في روائع قصائد الشعر الجاهلي التي انصبت في هذا القالب لتعالج طريقة البدو القدماء في التعامل مع البيئة المحيطة بهم ، وتنقل لنا بسذاجة طرائقهم الخاصة وطقوسهم التي انصهرت في أوزان أشعارهم، التي لازالت مغرية بفعل صورها الحية الملموسة وإيقاعاتها الرنانة .

وليس هذا المقام مقام حديث عن الشعر الجاهلي وقد تفرّدت له مؤلفات خاصة وإن ما يجب أن نهتم له في مقامنا هذا هو ذلك الارتباط الوثيق بين الشاعر وبيئته فهي لاتنفك عن مطاردته كلما حاول الانسلاخ عنها ،لأنها مهد أفكاره وملجأ عواطفه ،ولأنّ الشعر في واقع أمره مرآة المرء كما قال أرسطو فهو في

[1] : رابح بونار: المغرب العربي تاريخه وثقافته، الجزائر سنة 1968ص214

أغلب الأحيان محاكاة للواقع ، إذ ينقل لنا ملابســــــــــات بيئته في قالب فني جميل .

إنّ البيئة التي عاش فيها شعراء الدولة الحمّادية قد تزيّنت غداة منتصف القرن الخامس الهجري بألوان الحضارة الجديدة التي بدأت تستقطب كل أنواع العلوم والآداب . ونحن نزداد يقينا أ نّ ثراء الساحة الأدبية منوط بجهود الأمراء الحماديين وبخاصة المنصور الحمادي ، حيث أثمرت هذه الجهود بعد النهضة العلمية والأدبية التي صنعت عصر بجاية الذّهبي ، وذلك على الرغم من تعثر الحياة السياسية جراء الفتن الضاربة بالبلاد والخلافات الدائمة بين أمراء دولة بني حماد .

ففي هذا الجو برزت ظاهرة وصف القصور وترعرعت أمام رغبة كبيرة في استعراض القوة والسلطان عند الملوك الحماديين ، وهذه ظاهرة قديمة في الشعر العربي وغيره ، إذ تعود جذورها إلى عهد ملوك الروم وإيوان كسرىالعظيم . وهي على توغل جذورها في القدم لا تزال محافظة على بعض سماتها كالدقة في التصوير والمبالغة في الوصف والميل إلى استعمال لغة الألفاظ الفخمة والموحية ؛كما أنها غالبا ما تتخلل قصائد مدح الملوك .

ولعل ما يسترعي انتباهنا هو أنّ عهد المنصور كان زاهرا كعهد أبيه ، إذ ظلّت ا لشّعراء تؤم أرضه مستنجد ة به أحيانا ومسترزقة أحيانا ومن الشعراء الّذين قصدوا بجاية على عهده الشاعر الصّقلي ابن حمديس الّذي أبدع ما شاء في وصف الأبنية والتماثيل، والقصور والبرك، والنوافير والنواعير، والحدائق.وكل ّذلك في حلاوة لفظ ورقة أسلوب، ودقة صنعة.

كان ابن حمديس أديبا يعيش على الأدب ويتكسّب بالشعر واسمه الكامل عبد الجبّار ابن حمديس، ولد بجزيرة صقلية في477 هـــ عرف في بيئته مند حدا ثته بمعالجة القريض.نزل باشبيلية يمتدح فضل المعتمد ابن عباد الذي ظلّ يتقلب في نعم الملك حقبة من الدهر حتى أنزله ابن تاشفين عن د ستّه، ونفاه من ملكه إلى أغمات بمراكش.

قال المعتمد صاحب اشبيليّة وقد دخل عليه في سجنه بناته يوم العيد في أطمار بالية:

فيما مضى كنت بالأعياد مسرورا فساءك العيد في أغمات مأســـــــورا

ترى بناتك في الأطمار جـــائعة يعزلن للناس ما يملكن قطميـــــــــرا

يطأن في الطّين والأقدام حافية كأنها لم تطأ مسكا وكافـــــــورا [1]

تبع ابن حمديس صاحبه ووليّ نعمته إلى منفاه، فمات الملك بعد أربع سنين من نكبته وأقام الشاعر في المهدية قاعدة إفريقية وقد تأكد من قصائده في مدح بني زيري بالمهدية وبني حمدون وزراء بني حماد ببجاية أنه ظل يتنقل بين مدن الشّمال الأفريقي [2]وقد اتّفق أهل التراجم أنه توفي سنة 27 5هـــ.

اتّصل ابن حمديس بالمنصور وتصدّر عنده مقدّمة الوصّافين البارعين وتألّق في وصف القصور المشيّدة على عهده :

أعمر بقصر المـــلـــــك ناديك الّذي أضحى بمجدك بيتا معمورا [3]

---

[1] أحمد حسن الزيّات ،تاريخ الأدب العربي ، ط25 ،ص318

[2] المصدر نفسه ،ص335

[3] قصر الملك قصر من قصور القلعة ،بجنّك: برعايتك ، وفي رواية أخرى بمجدك

قصر لو أنك كحلت بـــــــــنوره   أعمى لعاد إلى المقام بصيرا

وفي موضع آخر :

أعليت بين النّجم والدبــــــــران [4]   قصرا بناه من السعـــادة بان

فضح الخورنق والسدير باســـمه   وسما بقمّته على الإيـــوان [5]

فالبيتين الأوّلين هما من رائيته التي نظمها في وصف قصر المنصور ، وقد استهلها بفعل الأمر " أعمر"مقدما التهاني للمنصور على حوزته لهذا القصر،وقد بناه بعزم وجدّية،وأسلوب الأمر عادة ما يستعمل للطلب وإن كان مقام الشاعر هنا يستدعي التلطف لأنه يخاطب المنصور ، وينتقل الشاعر مباشرة إلى ذكر مكانة القصر رافعا من شأنه أمام قصور بني ساسان:الخورنق والسدير والإيوان .

والواقع أنّ ابن حمديس واسع الثقافة في مجال القصور و لأنّه عاش فترة شبابه في الأندلس، ثم تنقل بعدها في أماكن عدة قبل أن ترسو له قدم في المغرب الأوسط ،ولعله زار خلال أسفاره قصور بني ساسان ليستطيع بعد ذلك أن يقول:

نسي الصبيح مع الملـــيح باسـمه   وسمـــا ففاق خورنقا وسديرا (1)

لو أنّ بالإيوان قوبل حـــــسنه   ماكـــــان شيئا عنده مذكورا

أعيت مطالعه على الفرس الأولـــي   رفعوا البناء وأحكموا التدبيـــرا

ومضت على الروم الدهور وما بنوا   لملوكهم له شبيها ونظيـــــرا

---

(4) الدبران :منزلة من منازل القمر (5) الخورنق و السدير والاوان-قصور بني ساسان

(1) الخورنق والسدير والإيوان :قصور بني ساسان ــ فضح: أعلن ، وفي رواية أخرى فصح

ويبدو من البيت الثامن أنّ ابن حمديس قد تجوّل برفقة المنصور في بهو القصر وحدائقه كما أطلعه بنفسه على غرف القصر وتصاميمه الفريدةالتّى انبهر

لها الشّاعر فتألقت نفسه وانشرح صدره لتتفتّح مشاعره على هذا الجمال الذّي أرست معالمه أبواب القصر الضّخمة وقد احتوت حلقاتها على أسود مكشّرة عن أنيابها تبدو وكأنّـــها تحرس القصر.

أذكرتـــنا الفـــردوس حين أريتنا غرفا رفعت بناءها وقصـــــورا
أبصـــرته فـــرأيتـــه أبدع منظرا ثم انثنيت بناظري محصـــــورا
فضننت أنـــي حـــالـــم فـــي جنّة لمّا رأيت الملك فيها كبيـــــرا [1]

وفي الأبيات التي تلي وصف دقيق لأبواب القصر وقد عضت على حلقاتها أسود مكشّرة على أنيابها تبدو وكأنّها في مشهد حي :

عضـــت علـــى حلقاتهن ضراغم فغرت بها أفواهـــها تكشيـــــرا
فكأنّها لبدت لتهصـــر عندهـــــا من لم يكن بدخولـــها مأمـــور ا

وتجول الخواطر مطلقة أعنّتها لترسو أمام بهو ساحة مرخمة وكأنّها فرشت بالذّر لتظل مضيئة حتى في لجج الظلام.

تجري الخواطر مطلقات أعنـــّة فيه فتكبوا عن مداه قصـــــورا
بمرخّم السّـــاحـــات تحسب أنـــّه فرش إليها وتوشّح الكافـــــورا

[1] اقتباس من الآية 20من سورةالأنسان.في قوله تعالى:" وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيما وملكا كبيرا "رواية حفص.

ومحـــــــسّر بالذر تحسب تربه مسكا تضو ع نشره وعبيـــرا

يستخلف الإصباح منه إذا انقضى صبحا على غسق الظّلام منيرا

ويستمر الشاعر في وصف كل شيء تقع عينه عليه وإن بالغ في ذلك أحيانا، غير أنّه حين تتوالي الصور الجميلة لا نكاد نشعر بوزن المبالغة التّي تتستّر بلين وراء جمال الوصف وزخرف الخيال.ثمّ يعود ابن حمديس إلى وصف الأسود ،وكأن الشعر قد اكتمل في دهنه قبل أن يكتمل في الواقع؛ ذلك أنّ الشـــعر مقيد بالوزن والقافية في حين تسبح الصور بحرية ،ولهذا يعود بتواضع وأدب ليعطي منظر الأسود حقه من الوصف .

أسد كأن سكونـــها متحـــــــرّك في النّفس لو وجدت هناك مثيرا

وتذكّرت فتكاتها فكأنّمـــــــا أقعت على أدبارها لتثـــــــورا

وتخالها والشمس تجلو لونـــها نارا وألسنها اللواحس نـــــورا

فكأنّما سلّت سيـــــوف جداول ذابت بلا نار فعدن غديـــــرا

وكأنّما نسج النسيم لمـــــــائه درعا فقدّر سردها تقديـــرا [1]

ويسترسل الشاعر في توشيح قصيدته بالتشبيهات والصور الجميلة ليزيد من قيمة القصر ومحتوياته وفوق ذلك فهو يريد أن يجعل منه قصرا غير كلّ القصور.إذ يقف كما يقف المغربي الموغل في حبّ وطنه، أمام بهو الحديقة الأريضة برقّة في الشعور وقوّة في الملاحظة ليصف أشجار الروضة الغناء فيما ينيف عن الثمانية أبيات.

---

[1] شعراء الجزائر على عهد الدولة الحمادية، ص 46ـ47

وهو لايزال على حاله مفتتنا بالجمال والعظمة فلا يفتأ يتغنّى بمحاسن القصر وبدائع صنعه. وحقّ له أن يتعبّد لهذا الجمـــــــــال الّذي يسلب الألباب و يستهوي القلوب،لا سيما قلوب الشعراء أمثاله، وهو بكلّ هذه الأوصاف البديعة:

ومصفح الأبواب تبـــــرا نظروا بالنقش بين شكوله تنظـــــــــيرا
تبدو مسامير النظّار كمـــا علت تلك النهود من تلك الحسان صدورا
وعجبت من خطّاف عسجده الّتـــي حامت لتبنـــــــي في ذراه وكورا

وكأنما للشمس فيـــــــــه ليقة مشقـــــوا بها التزويق والتشجيرا
وكأنمـــــــــا للأزورد مخرّم الخط فـــــي ورق السماء سطورا
وكأنّمـــــــــا وشوا عليه ملاءة تركوا مكـــــان وشاحها مقصورا

وينتهي في آخر القصيدة كما استهلها بمخاطبة المنصورالحمّادي في تواضع وأدب، وإهدائه هذه القصيدة التي خلت من كلّ تملّق أو خنوع أو استعطاف مع أنّها ربّما نظمت للتكسّب.

ومن هنا كان شعر ابن حمديس مرآة صافيه تجلّت فيها قدرته الأدبيّة فهو عفيف اللفظ نبيل الفكرة، لغته واضحة وأسلوبه مشرق إذ تألّق في وصف جمال الطبيعة ولذّات الحياة، وعجائب الكون، فوصف النهر والزهر والصيد والخيل والليل و قصور الترف ومجالس الطرب، وكل ذلك يرسمه بلفظ أنيق، وتصوير دقيق وعبارة بيّنة. [1]

[1] احمد حسن الزيّات ،تاريخ الأدب العربي ،ص336

إن الحوادث الاجتماعية السياسية التي عاشها ابن حمديس ووقف على تقلّبايها وسخريّتها من بني البشر سعت إلى تهذيب خياله وفكـــــــره المنبثق من عمق الأندلسي العاشق لحلاوة الحياة. وقد جعلته حياته الخاصة بالأندلس ثمّ بالمغرب العربي مميّزا في شعره، بعيد الغور في تفكيره وتخيّلاته، إذ لم يتردد لحظة واحدة في حبّه وإخلاصه لوطنه الجديد الذّي احتضن غربته، فراح يجول بنا ظره في أرض الجزائر الناعمة النّاضرة بقصـــورها الشامخة العامرة وقد لقي الجمال الذي ضن ّأنّه فارقه بفراق الأندلس.

وعلى طريقة الأندلسيّين التي ضمّنها روحه المغربيّة الأصيلة وصف لنا قصر المنصور بدقّة في التصوير، وحلاوة في المعنى، فجاءت إثر ذلك أبيات القصيدة مشدودة البناء، غنيّة بالصور مفعمة بالتشبيهات، إذ ترددت كثيرا على مسامعنا أداة التشبيه" كأنّما "وذلك لتحقيق المقاربة وكأنه يتطلّع إلى فكرة جليلة وهي" فكرة الماهية" من جهة، ومن جهة أخرى يحاول إعطاء الأشياء الموجودة بالقصر قيمة فنيّة كبرى.

ولابن حمديس قصائد تخترق صمت النفوس من دون ما ستر أو حجاب، فهو يوفّق دائما في اختيار الألفاظ والعبارات المناسبة لوحدة الشّكل في مجموعه، واختلافه في تفصيلاته، أمّا أسلوبه ففيه صبغة فنيّة شخصيّة، وهو فضلا عن رصانة ألفاظه من النظم المطبوع الّذي يحدث أثرا عميقا في النفوس.وهو على مابه من صناعة في تركيب الصور واحتوائه على كثير من المحسّنات اللّفظية سلس رقيق، خاصّة عندما ينعت زينة القصور في هذه الحقبة البعيدة من الزّمن، فينقل لنا حضارتها وعمرانها علىاختلاف صورها ومظاهرها، و كأنّه مصوّر

صحفي بارع . وعلى هذا النّحو يصف لنا قصرا آخر من قصور المنصور اسمه " النجم "بناه المنصور ببجاية: (الكامل)

عرّج بأرض الناصـــــريّة كي ترى شرف المكان وقدرة الإمكـــان
في جنّة غنّاء فـــــردوسيـــــّة محفوفة بالروح والريحـــــان
وتوقّدت بالجمـــــر من نار لجّها فكأنّما خلقت من النيـــــران

إنّ الغرض الرئيس من هذه القصيدة هو الوصف،وهي كسابقتها في الغرض والمناسبة ،حيث يصف فيها قصر"النجم"ببجاية، وقد بدت رغبة صاحبها في الأساليب الجديدة، والمعاني الحضريّة من الأساليب والمعاني القديمة، إذ أبدل من الأسلوب البدوي أسلوبا حضريا صرفا، ونفر من الألفاظ الوحشية إلى الألفاظ المأنوسة الرقيقة، فما انقطع عن ذكر رياض القصر الغنّاء، فجمال بجاية عنده فوق كلّ جمال وعمرانها دون كل ّعمران.

وإن فاخر الأترج قال له ازدجـــــر حتّى تحوز طبائع الإيمـــــان
لي نفحة المحبوب حين يشمّنـــــي طيبا ولون الصبا حين يرانـــي
منى المصبح حيـــن يبســـط كفّه فبان كـــــل ّخريدة كبنانـــي
والمـــــاء منه سبائك فضّـــية ذابت على درجات شاد روان [1]

[1] د.رشيد بورويبة،وأصحابه ؛ الجزائر في التاريخ، العهد الإسلامي، ج 3 الجزائر 1984 ص245.

المـــعـــجـــم اللـــغـــوي :

وما يلفت الانتباه هو أنّ الشّاعر يستقي ألفاظه من بيئة حضريّة صرفة، ولعلّ ذلك يرجع إلى طبيعته وطبعه المائل إلى كل ماهو جميل فحسب، أو لعل ّكل ّما كان يحيط به كان جميلا فكان له في محيطه مرعىخصيب:جنائن وارفة الظلال وأنهار تغنّي للقصور فترقص، بدائع وطرائف راح يصوّرها بقلمه، فارتسمت لوحات طريفة نادرة [1]

وقد سار على خطى البحتري في وصف القصور والبرك، وسعى وراء التّشبيهات والاستعارات يتصيدها بأحاسيسه، وقد حاكاه في ذلك ابن خفاجة، فآفة الشعراء سيرهم وراء بعضهم كالقوافـــــــــــــــل على الطرق المعبّدة. [2]

إن البيئة الحضريّة الّتي احتوت ابن حمديس قدجعلت من أشعاره الّتي يصف فيها الطّبيعة لوحات فنيّة مرصّعة بأنواع الذّر واليواقيت والمرمر وهذه هي "مجاملة الترف الخالي من كلّ بصيرة إنسانية باطنة على حساب البداوة أوالفطرة الساذجة التّي تحتضن فيها النفس أهون المخلوقات، وتشبّع حنينها الدائم إلى التنصل من وثائق البريق المتوهّج النافع، وشواهد الحضارة الماديّة، ولوازم الترف الثقيل الّذي يخلط بين المعايير " .[3]

---

(1) مارون عبّود، أدب العرب، ط 3 ،دار الثقافة بيروت ،1978ـ1979 ، ص 246 .

(2) المصدر نفسه، ص247

(3) مصطفى ناصف ، الصورة الأدبيّة ، دار الأندلس ،بيروت الطبعة 3، 1983 ،ص5

من الواضح أنّ ابن حمديس قد تصيّد الألفاظ الرّقيقة الملائمة لأجواء القصور المترفة مثل: ّذرّة ــ شفافة ــشرفاته ــ اللّمعان ــ جنّة ــ غنّاء ــ فردوسية ــ الريحان ــ تبر ــ نفحة ــ طيبا ــ منى ــ المصبح ــ سبائك ــ فضيّة...،وقد مال في وصفه إلى إدخال الألوان النّارية التّي تعبّر عن اللّمعان والبريق داخل القصر وخارجه، مثل:ذرّة ــ اللّمعان ــ وتوقّدت ــ بالجمر ــ نار لجّها ــ تبر أحمر ــ سبائك فضيّة...

إن ّالعربيّ وإن سرى في نفسه حبّ الجديد، يبقىأبعد الناس عن نسيان قديمه لتمكّن غريزة التقليد في نفسه،ثمّ لما يتعلّق بهذا القديم من وشا ئج دينيّة وقومية، فقد كان الشعر الجاهلي والإسلامي ديوان المفاخر والحجّة الّتي لا تقرع في تفسير معاني القرآن الكريم ومعرفة غريبة [1] .ولهدا نلمس عند ابن حمديس ُتأثرا واضحا بالقرآن الكريم من خلال اقتباس معانيه واستعمال ألفاظه:

وضننـــت أني حـــالم في جنـــة لمـــا رأيت الملك فيه كبيـــــرا

وفي موضع آخر :

وفـــي جنـــة غـــناء فردوسيـــة محفوفـــة بالروح والريـــحـــان

والملاحظ أيضا أن المعجم اللغوي للقصيدتين لا يتجدد ولا يتغير ،فهو يكاد يكون نفسه ا ،ودلك لوحدة في الغرض والموضوع ، وإن اختلفت أسماء القصور، لأن المشاهد تتشابه وتتكرر لتعرب عن طريقة موحدة في البناء جعلت الشاعر يدور في دائرة مغلقة ،وإن بدا لنا كل ما بداخلها جميلا من خلال لجوء

[1] بطرس البستاني ،أدباء العرب في الأندلس وعصر الانبعاث ،بيروت 1937 ،ص28

الشاعر إلى استعمال الألفاظ المثيرة للقارئ: بنوره ، اشتق ،حسنه ، الفردوس ، الجنان ،الأفلاك ،البلور، عجائب ،سبائك...

والشاعر في محاولته ربط المحسوسات بالملموسات ،يكثر من استعمال الألفاظ الفخمة المتّسمة بالقوة والجزالة لينقل إلى دهن القـــــارئ مدى روعة المكان وفخامته:الملك ،الجنان ،بمرخم ،رئاسة ،يرتقي ،شرفاته ،بقمته، شرف،صوالجها....

فالمشاهد تتنوع بتنقل الشاعر ،لأنّ هناك حركة دائمة ومشاعر متحركة عبّرعنها الشاعر بأفعال مختلفة : نسي، أّذكرتنا ،أريتنا ،انثنيت ، فظننت ،تجري الخواطر ، تحسب ، وتذكرت ، وتخالها ،يؤثر ،وعجبت .

كما أ ورد الأفعال الدالة على الملاحظة ،لأنه يصف لنا ما تقع عليه عينه ،وإن ثمّ ذلك بكثير من المبالغة :أبصرت ــ رأيت ــ تعبر نحوها عيناي ــ ترى ــ تريك ــ تبدو ــ وإذا نظرت .ومن هنا بدت بعض المعاني مأنـــــــوسة لا تحتاج منا طول تأمل وسعة خيال :

فالمحسنون تزيدوا أعــمالـــــهم ورجــوا بذلك جنة وحريــرا

وفي موضع آخر:

عرّج بأرض الناصرية كي ترى شرف المكان وقدرة والإمكـــــان

إنّ هذه الروح التي تسري بين أوصال الكلمات،وتبثّ فيها الحياة لتجعلها تتحرك وتحرك معها أوتار القلوب ،لتنبئ عن شاعرية صاحبها وقدرته الفائقة في توليد الصور و ابتكار المعاني ،ولاشك في ذلك ونحن نعلم أن ابن حمديس قد نظم الشّعر مند أيامه بالأندلس ، وهو على كل حال شاعر مكثر .

ولعل هذا ما يفسّر حضور الطبيعة في قصائده، فهو يرنو إلى الطبيعة كلما ضاقت به أوزان شعره، ليستمد من قواها الخارقة نفســـــه الطـــــويل في النظم والإبداع ،وكثيرة هي الألفاظ التي تعكس هذا التّلاحم :النجم ــ الريحان ــ نار ــ الماء ــ الطيور ــ خرير ــ السماء ــ الثمرات ــ الأغصان ــ روضة .

ومن الواضح أيضا أنّ جلّ هذه الألفاظ قّد دلّت على الطبيعة من ناحيتها الخضراء الباسمة فحسب، فهدوء القصر قد وفّر للشاعر جوّا من الراحة النفسية التي انعكست بجلاء في فضاء القصيدتين .والقارئ بعد ذلك يلتمس فيها إلى جانب قيمتها الفنية قيمة تاريخية كبرى؛ كونها تؤرخ لفن العمران على عهد الحماديين ،وتنقل لنا طريقتهم الخاصّة في النقش على الخشب ونحث التماثيل، وما إلى ذلك مما تزخر به قصور الأمراء والملوك .

الخيـــــــــــال :

إن خيال ابن حمديس فرس جامح لا حدود لها ، فهو يسمو به إلى منازل القمر ومواطئ النجوم ، ملاحقا أفكاره وهي محلقة هائمة ،أو يتوغل به في أعماق نفسه الشاعرة ليلامس هناك بقايا صور لم تكتمل أطيافها مند أيامه بالأندلس. حتى أنك لتحسّ بروحه الأندلسية بل وتراها تتسلل إلى خيالاته بلين ولطف كسيل هادئ من الماء يسري بين المروج . وذلك من خلال ما يتصيده من صور جميلة يعرضها في أبهى حلة ، معتمدا على التشبيه كأسلوب بلاغي ، وما يشتق عنه من استعارة ومجاز،ليحرك المشاهد والمشاعر:

أسد كأن سكونها متحـــرك في النفوس لو وجدت هناك مثيـــرا
وتذكرت فتكانها فكأنمـــــا أقـــــعت على أدبارها لتثـــــــورا
وتخالهاوالشمس تجلولونها نارا وألسنـــــها اللواحس نـــــورا

فهدا خيال ابتدأ فيه ابن حمديس بتحريك المشهد الذي بدأت صوره تتحرك في مخيلته،فهو يرى الأسود تتحرك رغم سكونها ، كأنها جالسة تستعد لتثور في أية لحظة ، وذلك لحسن صنعها، وإتقان نقوشها . أما إذا سطعت أشعة الشمس على ألوانها الفضية والذهبية،فستبدو كنار متأججة يسطع النور من ألسنها .

ومن مبالغة ابن حمديس في الوصف تكراره للأداة " كأن " ، إلى جانب استعماله لأفعال المقاربة :ـــتخال ـــ تحسب ـــ تضن .

الإيقـــــــــــــــاع :

اختار الشاعر لقصيدتيه بحر الكامل وهو من البحور الطويلة الملائمة لغرض الوصف وما يصحبه من مبالغة وخيال .كما اختار "النون" رويا لإحدى قصائده وللأخرى اختار" الراء"، وهما حرفان يتكيفان مع المواقف المختلفة .وقد صاحب كلاهما كثيرا من الشعر العربي قديمه وحديثه،فالراء يصلح للتعبير عن المشاعر فيتمدد بتمدّدها ولا يضيق بتقلب المشاعر وتبدّل العواطف.لذا نجده يصحب الشاعر وهو يخاطب المنصور ثم وهو يتنقل بين أرجاء القصر ليقارنه بقصور الدنيا ، ويصف أبوابه وساحاته ويقف بتمعن أمام تماثيل الأسود، ثم يطلق عنان أبصاره فيصف لنا ما رآه من أشجار وثمار،وينتهي به إلى المدح .

ومعظم هذه القصور الّتي كانت في مناعة الحصون قضى عليها الزحف الهلالي أواسط القرن الخامس الهجري وقد رثاها لنا إذ ذاك الشاعر والمؤرّخ الجزائري أبو عبد الله محمّد بن علي بن حمّاد 548 ــ628 هــ إذ قال رحمه الله [1]

إن العروسين [2] لارسم ولا طلل فانظر ترى ليس إلا السّهل والجبل

وقصر بلارة [3] أودى الزمان به فأين ما شاد منها السادة الأوّل ؟

قصر الخلافة أين القصر من خرب غير اللّجين وفي أرحابها زحل

---

[1] عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص296

[2] العروسين: قصر بناه الناصر ابن علنّاس ابن حمّاد في القلعة ، وفي رواية: العروسان

[3] بلارة هي ابنة تميم ابن المعزّ. تزوّجها الناصر ابن علنّاس سنة 470 وبنى لها هذا القصر الّذي حمل اسمها، في القلعة ومعناه: البلور

وليس يبهجـــــــني شيء أســـــرّبه من بعد أن نهجت بالمنهج السبيل

وماروي الكوكب [1]العلويّ معتصـــم وقد عرى الكوكب التغيير والتدل [2]

وقد عفا قصر حـــــــماد فليـــس له رسم ولا أثر باق الطـــــــــلل [3]

ومجلس القوم قد هبّ الزمـــــان به بحادث قلّ فيه الحادث الجـــلل

وانّ في القصر قصر الملك معتبرا لمن تغرّ به الأيّام والـــــــدول

وما رسوم المنار الآن مـــــــاثلة لكنّها خبر يجري بها المـــــثل

حتّى المصلّى امّحت آياته وعفت إلا جدارا وما طلّت به الطـــلل

كرجعك الطّرف كانت كلّ آبـــرة ا تراه كذاك العمر والأجـــــــل [4]

ولمّا جاء دور الأسبان قضوا على البقيّة الباقية من هذه الحضارة الشامخة والمدنية البادخة فيما استولوا عليه من القطر الجزائري وألحقوه بما فعلوه بأرض الأندلس... [5]

يبدو أنّ وصف القصور ومحتوياتها كان أمرا سائدا على عهد ابن حمديس، جريا على أسلوب المتقدّمين من الشّعراء المجيدين، إذ حصلنا على مقطوعة فنّية في وصف فوّارة للشّاعر المغربي القلعي الأصم الّذي عاصر ابن حمديس وعاش في بجاية النّاصريّة مدّة ثم ارتحل إلى مصر طلبا للرزق والمال،غير أنّه لم يأنس

(1) قصر الكوكب بناه المنصور ابن الناصر ابن علناس

(2) التدل بمعنى الوسخ

(3) عبد الرحمن بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ص296

(4) العروسين: قصر بناه الناصر ابن علنّاس ابن حمّاد في القلعة ، وفي رواية: العروسان .

(5) بلارة هي ابنة تميم ابن المعزّ. تزوّجها الناصر ابن علنّاس سنة 470 وبنى لها هذا القصر الّذي حمل اسمها، في القلعة ومعناه: البلور

بأهلها وعاد إلى المغرب الأوسط ليكمل فيه ما تبقى له من عمره [1] مقطوعته فهي من خمسة أبيات يقول فيها : [2]

وحاكية بالماء لون اضـــطرابه قواما وحسنا حين يبدو ويومض [3]

قضيب لجين ألمع الصقل متنه وأخلعه في السبك من قبل مخلص

تسامي قليلا ثمّ عاد كـــــأنّه جمان حواليها على الماء يرقص

تضايق أعناق السماء [4] كأنّه لها بين هاتيك النجوم تلصـــّص [5]

كأنّ نوالا من يمين كـــرامة يمدّ به إذ لا نرى الماء ينقـــص [6]

عمد عبد الله القلعي هنا إلى استعمال تشبيهات أربعة، سمت بالصور وغذّتها أفضل غداء. وقد صيغت الجمل والتراكيب في تسلسل منطقي، وتعددت الألفاظ الرّقيقة الموحية، وهو بذلك لا يخرج عن طريقة ابن حمديس في الوصف واستشفاف سحر المحسوسات والمعنويات، باستعمال الأساليب البلاغية وإخضاع الألفاظ الجزلة والمعاني الدّقيقة للخيال الخصب وملكة الأدب.وحقّ لأهل المغرب الأوسط أن يتعبدوا لهذا الجمال في أوطانهم، فانّ هذا الصقع الجميل المخصاب لجدير بأن يمتلك القلوب ويستهويها إلى يومنا هذا.

---

(1) أحمد بن محمّد أبو رزّاق ، الأدب في عصر دولة بني حمّاد ،ط1 ، الجزائر ، 1979،ص242.

(2) بحر الطويل

(3) يومض: يضيء ويلمع.

(4) أعنان السماء: نواحيها وما اعترض من أقطارها

(5) تلصّص: ترصّص وتلاصق

(6) أحمد بن محمد أبو رزّاق: الأدب في عصر دولة بني حمّاد، ص 248.

وكم نأسف لما حلّ بتراثنا العمراني من قصور ومدائن جار عليها الزمان وامتدّت إليها عوادي الدهر لتسلبها منّا، بعد أن زحفت إليها يد الخراب والزّوال فامّحت معالمها وعفت رسومها.

وهذا ابن رشيق المسيلي القيرواني يقف ليتجسّد مثـــــالا بارزا على طبيعة الشاعر وتميزه ،حيث أبدى مقدرة بيانية في ابتكار المعاني عبر قصائد حملت شعورا متدفّقا نابعا من دخائل النفس البشريّة ، يصوّر ويستشفّ فيها حسبما تمليه عليه عاطفته ويوحيـــــه إليه خياله، فيخرج منها صـــــورا ملوّنة تبرز ما في نفسه من بهجة أو كآبة ،أوحزن وسرور .كما أنّه نقل لنا صورا شاملة للجماعة الإنسانية وما يجري في مقاييس الحياة من خير وشرّ ، عدل وظلم ، واتّفاقات أو اختلافات .وقد برز لنا في مواقف متعدّدة ؛فوقف في رثاءه الممالك البائدة شاكيا إلينا نوائب الدهر ومصارع الرجال ،وفي وصف الطبيعة مبتهجا لجمالها أو مستغربا لتقلّباتها ، كما امتدح وعاتب واشتكى واستعطف ، ولم يفته أن ينظم في فن الحكمة ولا في فن الغزل ، ولم يتحفظ في وصف الخمرة ومجالس اللهو والغناء ، وهكذا فقد طرق أبواب الشّعر كلّها أو كاد ، باستثناء الهجاء الّذي قلل فيه لأنه كان مسالما قليلا ما يركب المخاطر [1]

وإلى جانب هذا كلّه أبدى ابن رشيق مقدرة بيـــــانية في وصف الظواهر الطبيعية ،وابتكار المعاني الرقيقة، مع تحفّظه الواضح في التزام وزن واحد وقافية

[1] رابح بونار،المغرب العربي تاريخه وثقافته ،ص312

واحدة في إنشاء القصيدة [1] على الرغم من تنوع الأغراض والمواضيع، ومثال ذلك قصيدته في وصف البرق

أرى بارقا بالأبرق [2] الفرد يومض يذهب مابين الدجى ويفضـــــــض
كأن سليمى من أعاليه أشـــــرفت تمد لنا كفا خضيبا وتقبـــــــض
إذا ما توالى ومضه نفض الـــدجى له صبغة المسود أو كاد ينـــــفض
أرقت له والقلب يهفو هفـــــــوة على أنّه منه أحرّ وأومـــــــض
وبت أداري الشوق والشوق مقبـــل علي وأدعو الصبر والصبر معرض
وأستنجد الدمع الأبي على الأســـى فتنجدني منه جداول فيـــــــض

كان ابن رشيق يركن إلى الطبيعة التي وجد فيها متنفّسا لخوالج صدره ،من خلال مناجاتها في أثناء غضبها وزمجرتها أو في هدوءها وسكينتها ،حيث يرى في قوّتها إيحاء بضعفه ،خاصة عندما تصطدم نفسيته الشاعرية الهادئة بموجة من القوة الصادرة عن الطّبيعة. وقد ناب عنها هنا البرق في استعراض للعظمة الإلهية ، فيقف الشاعر وقد نال منه الضعف النفسي ،ليصف في عبارات لم تخل من الرومانسية شعاع البرق المنبعث من ظلمـــــــة السماء،بعد أن تهيّأ له من شدة الحمرة أنها يد حسناء مخضبة بالحناء. ولايقف الشاعر عند هذه الصورة الجامدة بل ينقل حركية الأجواء المحيطة به إلى داخل القصيدة فيضيف بأنّ اليد المخضّبة بالحناء غير ثابتة بل هي تنقبض تارة وتنبسط في أخرى.

---

(1) من بحر الطويل

(2) الأبرق : غلظ فيه حجارة ورمل وطين مختلطة

ويعيـــش الشاعر إزاء كل هذا حالة وجدانية تداعت لهـــــا الأفكار وتراكمت ،حتى إذا استيقظ الشاعر من ذهوله راح يدعو لنفسه بالتصبّر والتأسي ، لأنّه ربّما تذكر في أثناء العاصفة أحبائه ،فهاج لهم شوقه ، عند كلّ ومضة برق .

وقال في وصف زرافة :

وأنتك من كسب الملوك زرافـــة	شتى الصفات لكونها أثنـــاء
جمعت محاسن ما حكت فتناسبت	في خلقها وتنافت الأعضـــاء
تحثها بين الخـــــــوافق مشية	باد عليها الكبر والخيـــلاء
وتمد جيـــــدا في الهواء يزينها	فكأنّه تحث اللواء لـــــواء
حطّت مآخـــرها وأشرف صدرها	حتى كأن وقوفـــــها إقعاء [1]

وبهذا يكـــون ابن رشيق قد وصف الطبيعة والحيـــــوان والإنسان بمستويات فنية متفاوتة ،على الرغم من اعتماده في الغالب على الأسلـــوب السّردي مع تصرف جيّد في اللغة.

وخلاصة القول إن الشعراء المغاربة لم يعرضوا عن وصف الطبيعة ،وإن لم تصلنا إلاّ مقطوعات معدودة ،ولعل جزءا كبيرا من هذا الشعر قد ضاع في زحمة الزّمان، حيث لاحظنا غيابا واضحا لبعض الموضوعات ، كوصف الفيافي ورحلات الصيد والطرائد، ووصف الوحوش والغابات والجبال.أو ربّما يعود ذلك لقلة شأنه إذا ما قارناه بالشعر السياسي مثلا أو شعر المدح خاصة إذا نظم في مدح الملوك .

(1) لعمدة لابن رشيق ،تحقيق وتعليق :محمد محي الدين عبد الحميد ،ج2 ،ط3، مصر 1963 ،ص297

وبالمناسبة نذكر قصيدة عبد الكريم النهشلي الذي يعد من من ألمع نقاد العصر الحمادي، له آراء نقدية عديدة، أهمها أنه دعا الشعراء للتكيف مع بيئتهم . وقد حصر موضوعات الشعر العربي في قوله [1] :"إن أصناف الشعر يجمعها أربعة وهي المديح – الهجاء – الحكمة ــاللهو ،ثم يتفرّع من كل صنف فنون ، فيتفرع عن المديح المراثي والافتخار والشكر ويتفرع عن الهجاء : الذم والهجاء والاستبطاء ، ويتفرع عن الحكمة الإمتثال والتزهيد والمواعظ ، ويتفـــرع عن اللهو :الغزل والطرد وصفة الخمر والمخمور ". أمّا تلميذه ابن رشيق فقد جعل موضوعات الشعر في كتابه العمدة تسعة ، وهي النسيب والمديح، والافتخار ، والرثاء والاقتضاء والاستنجاز ، والعتاب ، والوعيد والإنذار ,الهجاء والاعتذار [2]

ويظهر بعد استقراء هذه التقسيمات وغيرها ، أن النّقاد المغاربة لم يكونوا في منأى عمّا توصلت إليه الحركة الأدبية في بلاد المشرق ،حتى أن آراء ابن رشيق كانت من أهم المحطات النقدية في تاريخ تقييم موضوعات الشعر العربي ، كما أن رأي النهشلي فيه قفزة نوعية نحو نظرة شاملة ومحددة .

نعود إلى قصيدة النهشلي في وصف"فيل" وقد أوردها ابن رشيق في عمدته [3] ،حيث لمسنا فيها إجادة صاحبها لفن الوصف والتصوير الحسّي .

---

[1] العمدة لابن رشيق ، ج1 ،ص121

[2] وقي ضيف ، تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) ص 195

(3) العمدة لابن رشيق ، ج2 ،ص 207

وأضـــخم هندي النجار تعـــــــــــده ملوك بني ساسان إن رابها أمـــــر
له فخـــدان كالكثيبين لبـــــــــــدا وصدر كما أوفى من الهضبة الصدر
ووجـــه به أنف كراووق خمـــــــرة ينال به ما تدرك الأنمل العشـــــر
وأدن كنصف البرد يسمعه الندى خفيفا وطرف ينفض الغيب مـــــــزور
ونابان شقا لايريك ســـــــــواهما قناتين سمراوين طعنهما نثـــــر
له لون ما بين الصـــــــــباح ولونه إذا انطلق العصفور أو غلس الصقر

هذه مقطوعة تتفنن فيها صاحبها في نقل صورة موصوفه الضخم ، وهي قطعة تندرج على العموم ضمن شعر وصف الطبيعة ، هذا اللون الذي لقي اتّهامات متعددة لقلة وروده في دواوين الشعراء المغاربة . وقد حاولنا عبر بحثنا المتواضع أن ننفض عنه غبار التّهم واللامبالاة باعتباره يمثل جزءا هاما من موروثنا الشعري والثقافي، الذي يعكس علاقة الإنسان بالأرض،حين يكشف لنا عن شخصية الأديب المغربي الموغل في عشق الطبيعة وحب الوطن.

لقد التمسنا فيما وقع بين أيدينا من مقطوعات نوعا من الحنين إلى الطبيعة والاحتفاء بها عند ابن رشيق مثلا،ووجدنا غيره من الشعراء يركن إلى تباريق الحضارة، متعشقا عمرانها كابن حمديس والقلعي الأصم . ولم يمتنع البعض الآخر عن تتبع الطريقة التقليدية في الاحتكاك بالطبيعة ونقل الصور الحسيّة من غير ما تكلف ولا بعد ولا إغراق. كالنهشلي الّذي أبدى تأثرا واضحا بامرئ القيس حين وصف جواده مبقيا على صورته الحقيقية دون أن يدخل عليه تعديلا من شأنه أن يمّس جوهره .

وما يسترعي انتباهنا هو أن النهشلي في تأثره بطريقة القدامـــى في نعث تفاصيل الحيوان ،يحاول أن لا يغتصب الحيوان لنفسه ،لأنّه لا يسكب عليه من خياله ما يحيله عن حقيقته ، ونستطيع أن نلاحظ ذلك في قوله:

له فخد يـــن كالكـــثيـــبـــيـــن لبـــــدا

وصدر كـــما أوفـــى من الهضبة الصـــــدر

وفي هذا شبه بقول امرئ القيس في وصف جواده المشهور :

له أيـــطـــــلا ضـــــبـــي وســـاقا نـــعـــامة

وإرخـــاء ســـرحان وتقـــريـــب تثـــفـــــل

كما نلاحظ أيضا أنّ الشاعر لم يحلّل خواطره ولا عواطفه إزاء ما يراه في موصوفه ، ويظهر ذلك في اكتفاءه بالحسيّة التي استدعت منه التدقيق في نظره إلى أجزاء الموصوف الذي هو" الفيل ". ليبدأ بنسبته إلى أصوله الهندية ، ثم ينتقل ليصف قوائمه وفخذيه فصدره، بنزعة لم تخل من التّقريرية ، مشبّها القوائم بالصخر المتين ، والفخذ بالكثيب من الرمل ،والصدر بالهضبة ، ثم استرسل في وصف الخرطوم فشبّهه لطوله براووق الخمر ، أما النابان وهما سلاح الفيل فلا يراهما أشبه إلى شيء غير قناتين سمراوين .وينتهي بصورة رائعة في محاولة تصوير لون الفيل الذي وجده كلون الليل وقد خالطه ضوء الصباح عند الفجر ، وهو لون قاتم امتزج به بعض البياض حتى صار رماديا .

أما من الناحية اللّفظية فقد استعان النّهشلي بطائفة من المحسنات اللفظية والمعنوية وفي مقدّمتها التشبيه ، طلبا للصور الناذرة قصد التأثير في السامع .

ويطول بنا الأمر إذا ما تتبّعنا صور الوصف بمختلف وجوهه وقضاياه في الشعر المغربي . وحسبنا القول أن الشعر الحمادي المنظوم في فن الوصف يمثل قطعة فنّية رائعة نعتز بها ، لأن هذا النمط الشعري غني بوصفه لما حوله من طبيعة غناء وقصور وبناء، وملوك وأمراء . وقد نقل لنا حقّ النقل ما احتوته البيئة الحمادية من تناقضات وملابسات ، حروب وفتن ، نكبات ومحن . كما صوّرلنا تلك المدن العامرة بقصورها وحدائقها ، حتى أنّ المطّلع عليها يكاد يراها ماثلة للأ عيان .

وهكذا يكون المغاربة قد تفننوا في شتّى الأوصاف ، فكل شاعر منهم متصل بالطبيعة ، متعلق بالأرض مشغوف بعمارة بلاده ، حاله حال الأندلسي الموغل في حب وطنه . وقد أثبت شعراء البلاط الحمادي وغيرهم من الشعراء كغيرهم من المغاربة وفاء خاصا لملوكهم ، وإخلاصا واضحا لأوطانهم ويظهر ذلك ويتجلى في اعتمادهم طريقة خاصة بهم في تناول الحضارة والعمران ، والحياة الاجتماعية في حالتي السلم والحرب .

الفصل الثالث

شعر المدح

سينصب جهدنا في هذا الغرض الموغل في القدم، ونلاحقه إلى جذوره التي تنبع من عمـــق البيئة العربية الجاهلية ،هنـــــــاك حيث ترعرع هذا النوع إلى جانب المراثي ، " وبجانب هذا الرثاء كان عندهم -أي العرب – مديح واسع يمتدحون فيه بمناقب قبائلهم وسادتها . وكانوا كثيرا ما يمدحون القبيلة التّي يجدون فيها كرم الجوار متحدّثين عن عزّتها وإباءها، وشجاعة أبناءها وما فيهم من فتك بأعدائهم وإكرام لضيوفهم ورعاية لحقوق جيرانهم ...." (1)

إنّ الشاعر كائن بشري يعيش خضمّ الحياة بمسرّاتها ومآسيها ،أيّامها ولياليها ، حربها وسلمها ،وهو زيادة على ذلك مكلّف بترصد أحوالها ومظاهرها ونقلها في قالب تتقبّله النّفوس، وحلّة تدغدغ العواطف ،لذا فهو لا ينفك يراقب مسيرة الأيّام ويتأمّل تقلّبات الطبيعة ، فتلهيه أحيانا بهرجة القصور عن نيران المعارك ،ويغنيه بريق الحضارة عما سواها،فيجد متعة خاصّة في بلاط أحد الملوك وقد عجّ بالشعراء وعلية القوم.وعادة ما يخلق جوّ من التنافس بين الشعراء في نيل رضا الممدوح،فتتكون إثر ذلك ثنائيات تغيب وتظهر بحسب نوع العلا قة بين الشاعر وممدوحه ،ولعل الحديث هنا لايمر دون ذكر ثنائية المتنبي وسيف الدولة فقد كان لا يفارقه لا في الحرب ولا في السلم،حتى كان من قوله فيه:

تركت السرى خلفي لمن قلّ ماله وأنعلت أفراسي بنعماك عسجدا
و قيدت نفسي في هواك محبـــة و من وجد الإحسان قيدا تقيدا (2)

(1) د.شوقي ضيف -تاريخ الادب العربي (العصر الجاهلي) ج1 دار المعارف-مصر-ط6 سنة 1960 ص210
(2) أحمد حسنالزيات تاريخ الأدب العربي ص299

إن حياة البذخ والّترف التي عرفها ملوك بني حماد جعلت من قصورهم منتجع الشعراء،حيث كانوا يقدمون بأشعارهم على السّادة المبرزين والملوك يمدحونهم وينالون جوائزهم وعطاياهم الجزيلة.

ومن هؤلاء الشعراء نجد ابن حمديس الذي كان على صلة وثيقة بالمنصور، فقد أعلى بقصائده من شأنه وشأن قصوره،كما عنى بمدحه في محاريب [1]قصائده ، فقرّبه من الرّعيّة بذكر ماتميّز به من صفات حميدة . وقد كان ذلك شأنه مع المعتمد ابن عبّاد صاحب اشبيلية حيث له قصيدة فـــي مدحه مطلعها(1)

لم نؤت ليلتنا الغـــرّاء من قصـــر لولا وصال ذوات الذل والحفـر

ويقول في مدح المنصور : (2)

أ مـــدام عن حبـــاب تبتســـم (3) أم عقيـــق فـــوقه ذر نظم
حلّ قصـــر المجد منه ملـــكا بدأ المـــجـــد به ثـــمّ ختـــم
يحتبي في الدست (4) منه أســـد وهـــلال وسحـــاب وعلـــم
ترك النقـــم في جـــانبه وإذا عاقب في الله انتقـــم
إذا قال نعـــــم وهي له عادة،أصبـــغ بالبدل النّـــعـــم

1 بحر البسيط، ديوان ابن حمديس، ص204(القصيدة كاملة محققة ومرتّبة)
2 بحر الرّمل
3 الحباب بالفتح: الفقاقيع التي تعلو الماء،وهنا الخمر
4 دست كلمة فارسيّة: المراد بها المجلس

نلاحظ أنّ لغة ابن حمديس سلسة رقيقة الألفاظ ،وقد سخّرها للإشادة بشخصية الممدوح وفضله العارم علىالنّاس فهو رجل عالي الهّمة صاحب مروءة،عفيف كريم :

تنـــحى الســـادات مـــن عنـــده فإذا قربت صـــــارت خـــدم
يدعر الجبـــار منه فـــعلـــــى شفة منه يمشـــــــــي لاقدم
فالق الهام إذا كـــرّ ســـــــطا مسعر الحرب إذا همّ اعتـــزم
كلّما أوطأ حـــربا سنبـــــكا [1] حمى الرّوع وسبّ المقتحـــــم
وإذا حاول في طـــعن الكلـــى صرف اللهذم [2] تصريف القلم

ولم ينس شاعرنا أن ينوّه في آخر القصيدة بنسب الممدوح، جريا على أساليب العرب القدماء في ذكر الأنساب والتباهي بالمفاخر والأجداد. و ينحدر المنصور الحمّادي من قبيلة حمير المعروفة بتوغّلها في القدم، وبطولة أهلها، وجودهم وشهامتهم:

إنما حميـــــر أسد لم تزل لم تـــزل من قنـــاها ساكنات في أجـــــم
كلّ شهم القلـــب مرهـــوب الشـــبا مرتضي الأخلاق محمود الشيم
وعـــــروس لك قد أهديـــــتـــــها تكلّـــم الحسّـــــــاد منها بالكلم [3]

1

(1) السنبك هو طرف الحافر

(2) اللهذم –الحاد القاطع من السيوف و الأسنة -- (3) ديوان ابن حمديس ص 439-441

وقد كان المنصور رجلا متواضعا متعفّفا عن متاع الدنيا، متّصفا بالخلال الحميدة، ولا شك أن ما امتدحه به ابن حمديس كان من صفاته حقّا، يقول رابح بونار: يأخذ النقاد على ابن حمديس أنّ نصف ديوانه في المديح، والمديح يحمل صاحبه على المبالغة وتجنّب الصدق.

ولكنّ الواقع هو أنّ ابن حمديس كان صادقا فيه، ولذلك نجده يفي لممدوحه في السرّاء والضرّاء كما فعل مع المعتمد وهو مأســـــــــــور بأغمات. [1]

ويقول أ حمد ابن محمد أبو رزّاق [2] : كما يمكن الاعتقاد أنّ ابن حمديس لم يكن الشاعر الوحيد الذي مدح المنصور المشتهر بصفات حميدة ترغّب أولي العلم والأدب في الاتصال به. كان يكتب وينظم الشعر، متّصفا بالخلال الحميدة، متأثرا بأبي جعفر المنصور-الخليفة العباسي – في رقع الثياب والتحفظ بالقليل من متاع الدنيا[3] هذا وقد كان صاحب بأس وقوّة في الشدائد والحروب، ثار عليه بنوهلال فحاربهم وأخضعهم وطمع له المرابطون في تلمســـان، فهاجموها واحتلّوها، فزحف إليهم ليخرجهم منها وبقي مصرّا على أمره حتّى وقع الصلح، وهكذا لم يتوانى لحظة واحدة في إخماد نيران الفتن والحروب.

---

(1) رابح بونار المغرب العربي تاريخه و ثقافته ص350

(2) أحمد ابن محمد أبو رزاق –الأدب في عصر دولة بني حماد – ص335

(3) لسان الدين ابن الخطيب –أعمال العلام –القسم الثالث ص 97

كان في دولة بني حمّاد وزراء يعرفون ببني حمدون،يقال أنّ الشاعر ابن حمديس قد اتّصل بهم في آخر أيّامه ،ورثى في بعض قصائده السادة النّجباء (القائد أبو محمد ميمون والقائد أبوالفضل والفقيه أبوعبد الله) كماضمّنها رثاء علي ابن حمدون الصنهاجي .[1]وقد لمس النّقاد في مراثيه مغالاة في الوصف وذكر مناقب الميت، وتأسية للنفس من فواجع الدهر ومصارع الرجال ، وهذا قديم في الأدب العربي .

قامت بين شعراء بني حماد سوق رائجة للمديح،بعد العناية الكبيرة التي حظي بها جمهور الأدباء،فتنافس بعضهم على نيل رضى الملوك بامتداحهم والتقرّب منهم ، ليظفروا منهم بالعناية الكبرى والعطاء الأوفر .وقد حظينا نحن من ذلك كلّه برصيد هام من هذه القصائد التي سلمت من يد الضّياع ،وربّما يرجع ذلك لكونها كانت محفوظة في خزائن الملوك أو لأنّها كانت رائجة رواجا كبيرا بين الرّعيّة ، لكونها مثّلت آنذاك ما نسميه الآن بالشعر السياسي،فدوّنت خصيصا لتحفظها الأجيال .

---

(1) أحمد ابن محمد أبو الرزاق –االأدب في عصر دول بني حماد – ص 336 و ما بعدها

وقد اخترنا من هذا النوع قصيدة للشاعر الطبيب ابن أبي المليح يمتدح فيها الأمير عبد الله ابن عبد العزيز[1] الذي كان حسن الصلة معه،ويصف لنا في القصيدة جنائبه وقضاءه حق العيد وواجبه [2] .

[1]وقد ذكر العماد الأصفهاني أنّه طبيب ماهر وكاتب شاعر في بلاط بني حمّاد، ورويت له قصائد جالبة للحب سالبة للب[3]وهو من بين الشّعراء الثلاثة الذين ضمّتهم أعمالهم الأدبية إلى قائمة الشعراء المجيدين ، وهم ابن أبي المليـــح الطبيب ،علي الطبيب وأبو حفص عمر القلعي الطبيب .

عاش ابن أبي المليح على عهد يحي ابن عبد العزيز (510 -547) واتصل بأخيه عبد الله وامتدحه بقطعة يبدو أنّها من قصيدة طويلة كما نلاحظ من كلام ابن بشرون اطلاعه عليها وعلى غيرها بقوله :"وله من قصيدة عيديّة في مدح الأمير عبد الله ابن عبد العزيز الحمادي يصف جنائبه[4] وقضاءه حقّ العيـــــــــــــد وواجبه " [5]

---

(1) : أحد الإخوة السبعة ليحي البن عبد العزيز(الأدب في عصر دولة بني حمّاد ، ص157 -158)

(2) العماد الأصفهاني ، خريدة القصر ،ص 183 -184

(3) :المصدر نفسه ،ص183-

(4) :الجنائب جمع جباب :الفناء وما قرب من محل القوم أي منازلهم

(5) المصدر نفسه ، ص184

أما القطعة التّي بين أيدينا فهي في وصف خيول الممدوح ومرور الموكب بلوائه ورايته وأداء حــق صلاة العيد : [1]

وجالت به جرد[2] المذاكي[3] كأنّـــها عذارى لكن نطقن تحمـــــحم
بصفراء كالتبر العتيق صـــــقـــيلة[4] ودهماء يتوها كميث[5] وأدهــم
وأشقر لو يجري وللبرق جـــهـــده لكان له يوم الرهـــان التقدّم
وقام لواء النصـــــــر يتبع رايـــة بها العز معقود عليها مــتمم
فلما قضىحق الصـــــلاة معظّمـــا ثنى والهدى في وجهه يتوسّم [6]
فلا زال يقضي نفله وفـــــروضـــه وبرد علاه بالمدائح معلـــــم

ونلمس في هذه المقطوعة تأثرا واضحا بالشعر الجاهلي، خاصة منه شعر منه شعر امرئ القيس ، إذ جرى على ماجرى عليه في وصف المطايا من جياد ونوق،لكنه لم يستفض في الوصف ولم يغرق في المغالاة،ويظهر جليا أن تشبيهه في البيت الأوّل مأخوذ من معلّقة امرى القيس في قوله :

---

(1) :بحر الطويل

،(2) :فرس أجرد : قصير الشعر رقيقه .

(3) :المذاكي من الخيل ما تمت سنه وكملت قوّته

(4) :صقيلة هنا ، حال تعود على الجياد،

(5) : الكميت من الخيل : ماكان لونه بسن سواد وحمرة .

(6) : توسّم فيه الخير :تبين في أثره

فعنّ لنا سرب كأنّ نعاجه عذارى ذوار في ملاء مذيّل [1]

وبالرغم من جزالة الألفاظ المتخيّرة ، نحد تنسيقا في التراكيب ووضوحا في المعاني ، لأنّ طبيبنا هذا ، وإن كان مقلّدا ،فقد خلت مقطوعته من كلّ تكلّف أو تعقيد. كما أنّه قد تناول غرضا تقليديا في المناسبة والصورة ، ونهج طريق البحتري في مدح الخليفة العبّاسي- جعفر المتوكّل- فحافظ مثله على الأسلوب القديم وعنى بإحكام البناء وشدّ أسره. لكنّه لم يدرك شأو البحتري ،ولا شقّ له غبارا في وصف المراسيم ودقّة تصويرها ، فمن عيدية البحتري : [2]

ذكّروا بطلعة النبي فهلّـــلوا لمّا طلعت من الصفوف وكبّروا
حتّى انتهيت إلى المصلى لابسا نور الهدى يبدو عليك ويظهـر
ومشيت مشي خاشع متواضع لله لا يزهى ولا يتكبـــــــــّر
أيّدت من فضل الخطاب بحكمة تنبي عن الحقّ المبين وتخبـــر
ووقفت في برد النبي مذكّرا بالله تنذر تارة وتبشّـــــــر [3]

(1) : بحر الطويل

(2) :البحر الكامل .

(3)البحتري ، ديوانه ، طبع ببيروت سنة 1962 ، ج 1 ،ص23-25 .

ومن الشعراء الذين جعلوا مدحهم شاملا لآل حماد : يوسف ابن المبارك الذي ذكرعنه ابن بشرون أنّه كان من موالي بني حمّاد [1] وله في مدائحهم من الشعر ما انسحب عليه ذيل بني حماد ،لأنّه كان شاعرهم الناطق بمفاخرهم متغاضيا عن مساوئهم.

وله في هذا المجال قطع جميلة الأسلوب ، محكمة البناء متينة التركيب ، يقول رابح بونار [2] أنّها متينة التعبير، يمدح فيها صاحبها بني حماد وينعتهم بالكرم والجود والسّبق إلى الفضائل ونيل النّصر ،وصيانة العرض والشجاعة في الحروب والمحافظة على الجار وإكرام الضيف ،فيخاطبهم فيها قائلا:[3]

هناكم النصر ونيل النجـــاح في يومكم هذا بسمر الرماح

فأنتم الصيد[4] الكرام الألى شادوا العلا بالنائل المستماح [5]

ما منكم إلا هماما حـــوى مناقبا جلى ومجـــدا سراح

وتبتدئ الأبيات الأربعة التي تلي بأفعال ،جاءت متتالية لتعدد صفات هؤلاء الوزراء من شجاعة وحسن تدبير وإكرام للضيوف.وهي صفات يفخر بها كل عربي.

(!)ماد الدين الأصفهاني ، خريدة القصر ، ص183

(2):رابح بونار ،المغرب العربي تاريخه وثقافته ، ص330

(3):بحر السريع

(4) :الصيد جمع الأصيد:الرجل الذي يرفع رأسه متكبّرا ،الملك لأنّه لايلتفت يمينا ولايسارا ـــالنائل: العطاء

(5)، المستماح : استماحه :سأله العطاء

ولا ترهبون الدهـــــر أعداءكم وتمنعـــون العرض من أن يبـــاحا

وتبذلون الرّفد يوم النـــــــدى[1] وتسعرون الحرب يوم الكـــــفاح

وترفعون الجار فوق السهـــى[2] وتكرمـــــون الضيف مهما استماح

لا زلتم تجنّبون زهر العـــــلا في معـــرض العزّ بحدّ الصـــفاح [3]

ولعلّه لم يشتهر شاعر من شعراء هذه الفترة بغرض الحماسة ،وإنّما اشتهر شعراء مدّاحون وصفوا موصوفيهم بالشجاعة في ساح الوغى وحضّوا الفرسان على الجهاد، فكانوا أشبه بالمصوّرين يرسمون مشاهد الحروب ولا يصطلون بنارها ،لذلك لم يرتفع شأن الشعر الحماسي بالمغرب العربي،وذلك على الرغم من كثرة الفتن الضاربة بالبلاد وتوالي الحروب بدولة بني حماد، ولم يعرف من شعراء الحماسة إلا نفر يكادلا يعتدّ بهم أمثال إبراهيم الرقيق ومحمد ابن عطيّة.

وقد خلص لنا أنّ الشاعر المؤرخ أبا إسحاق المعروف بالرقيق كان يتردد على البلاط الصنهاجي بصفته كاتب الدولة يومئذ وقد توفي سنة417 هـ .[4]

---

(1) :الرفد هو العطاء والندى هو الجود

(2) :كوكب خفي ،يمتحن به الناس أبصارهم

(3) :الأدب في عصر دولة بني حماد، ص 156

(4)):تاريخ الجزائر العام ،ص268

وصف لنا ابن عطيةحربا دارت رحاها بين حماد وابن أخيه باديس وكان النصر فيها لباديس [1]

فامتدحه بلهجة امتزج فيها المدح بالتهنئة ،وتسامى به إلى مابلغه المتنبي بسيف الدولة.

لم أنس يوما بشلف راع منظـــــره وقد تضايق في ملتقى الحـــــدق
والخيل تعبر بالهامات خـــائضة من سافح الدم مجري قانىءالفلـــق
والبيض في ظلمات النقع بـــارقة مثل النجوم تهاوت في دجـى الغسق
وقد بدا معلما باديس مشتهـــرا كالشمس في الجو لا يخفى على الحدق
تجلو عمامته الخضراء غـــرّته كأنّه قمر في حمـــرة الشفـــق
لو صوّر الموت شخصا ثم قيل له : أبومناد[2] تبدّى ،مات من فـــرق[3]

وروى عبد الوهاب[4] أنّ محمد بن عطية بن حيان صحب باديس في بعض حروبه، وشرب ليلة مع الأمير نصير الدولة باديس في موضع مرتفع من نهر الشلف ،وقد أوقدت الجيوش النيـــــــــــران واستوى المجلس وترنـم المغنون ،فانشأ يقول :[5]

(1) :بحر البسيط

2: ابن عذارى البيان المغرب ج1 ،ص171

3:حسن حسني ورقات عن الحضارة العربية ،مط المنار – تونس ،1965 – ج1 –ص 218

4:بحر السريع

5 :الأدب في عصر دولة بني حمّاد ، ص171

بتنا ندير الراح في شـــــاهق ليلا على نغمة عــــــــودين
والنار فى الأرض التي دونـنـا مثل نجـــوم الجوّ في العين
فيا له من منظر مــــــونق كأننا بيـــــن سماعيـــــــن [1]

لا شك أن كثرة المصائب والحروب وتوالي الفتن والمحن بأرض المغرب ، قد طبعت في نفوس الشعراء آلاما عميقة ، فتحركت قرائحهم بقصائد خالدات لدعم الأمراء وعونهم في الذود عن الإسلام ومدافعة الأعداء كهذه المقطوعة المنسوبة إلى أحد أدباء الجزائر وفقهائها الأعلام ، ابن قاضي ميلة، وهو كما تذكر عنه كتب التراجم، شاعر لسن مقتدر يؤثر الاستعارة ويكثر الزجر والعيافة ويسلك طريق ابن ربيعة وأصحابه في نظم الأقوال والحكايات ، فكان شديد الميل إلى القصص الشعري .[2]

(1) الأدب في عصردولة بني حماد – ص171

(2) المغرب العربي تاريخه و ثقافته ص 320

وذكر له النقاد القدامى قصيدته الفائية في مدح ثقة الدولة أمير صقلية [1] وهي قصيد ة مطوّلة نايف عدد أبياتها الستين ، وقد استهل فيها ابن قاضى ميلة قصيدته على الطريقة التقليدية من وصف للمطيّة وذكر الديار ، كما أدخل الغزل في محاريب قصيدته ، ومطلعها:[2]

يذيل الهوى دمعي وقلبـــــــي المعنّف

وتجني جفوني الوجـــــــد وهو المكلّف [3]

إلى أن يقول :

أغرّ قضـــــاعـــــي يكـــاد نواله

لكثـــرة ما يدعـــو إلى الشكـــر يجحف[4]

إذا نحن لأخافنا مخايل ديمة

وجدنا حبا معـــروفة ليس يخلـــــف [5]

سعى وسعى الأملاك في طلب العلا

ففاز وأكدوا إذ أخـــف وأقطفـــــوا [6]

ويقظان شاب البطش باللين والتقى

بكفّيـــه ما يـــرج وما يتـــخـــــوّف [7]

---

[1]:ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء الزمان ،طبع بالقاهرة ،ج5 ،ص207 –211

[2]:من بحر الطويل

[3]:يذيل :يسيل –جفوني :أغطية عيوني –الوجد هو المحبة

[4]:أغرّ حسن أبيض ،قضاعي : ينتسب إلى قضاع من قبائل العرب ،نواله :عطاؤه ، يجحف :يكلف مالا يطاق

[5] :مخايل ديمة: إمارات مطر،حيا معروفه:مطر إحسانه

[6]:أكدوا :لم يظفروا بحاجتهم ،واقطفا : نطق الدواب المتقارب وقد استعاره للإنسان

7: :شاب :خلط ،البطش هو الفتك

إنّ هذه القصيدة في عمومها مدح للأمير صقلية، وقد مهد الشاعر لذلك بمقدّمة غزلية مهد بها للولوج في مدح الأمير،وكأنه بذلك يطمح إلى غاية يريد أن يصلها من وراء هذا الشعر،ولعل هذا ما يفسر تماديه في المبالغة،خاصة عندما يعطيه زمام التصرف في أحكام الردى،وما ذلك إلا بيد الله .

حسام على من ناصب الدين مصلّـــت

وستر على من راقب الله مــــغدف [1]

يسايره جيشان: رأي وفيـــــلـق

ويصحبه سيفان :عزم ومرهـــــف[2]

مطل على من شـــــاءه، فكأنمــا

على حكمه صرف الردى يتصـــرّف[3]

يرى رأيه ما لا تـــرى عين غيره

يغري به ما ليس يغــري المثقـــّف[4]

رعى الله من ترعى حمى الدين عينه

ويحمي ربى الإسلام والليل أغضف [5]

---

(1) 1 : ناصب الدين :خالفه ،مصلّت :مسلول ،معدف :مسدول

(2)الفيلق هو الجيش العظيم –

(3)مطل :مشرف –

(4)يغري به: يحرّض به

(5)حمى الدّين : ما يحميه ويدافع عنه – أغضف :أظلم

وهناك قصائد تكسّبيّة قيلت في فن المدح كقصيدة القلعي الأصم الذي عاش في أواخر عهد بني حمّاد ، وقد وصفه الزبيري بجودة الشعر وأصالة الفكر [1] كما ذكر خيبته في رحلته إلى البلاد المصرية التي كان يرجو أن يجد فيها من يخفف عنه ألم الفقر والحرمان، ولمّا يئس من كلّ عون قفل إلى المغرب في غير أوان سفر المركب ، فسار راجلا ، نعله مطيته ،وزاده كديّته إلى أن وصل عند قوم يعرفون ببني الأشقر الطرابلسيين ، فامتدحهم بقصيدة طويلة بدا على مطلعها التكلّف والاصطناع ، في محاولته تنبيه السّامع وجلب اهتمامه ،فيقول : [2]

ترى فاض شؤبوب من الودق ساجم وأومض مشبوب من البرق جاحم [3]

وماذا الندى والوقت بالصيف حـــائم وماذا السنا والجوّ بالليل فـــــاحم

وما هذه مزن وما ذي بـــــوارق ولكنّها أيمانكم والصـــــــوارم

وقد اتّبع هاهنا الخطّة التي جرى عليها المشارقة من استهلا ل إلى حسن تخلّص ، لكنّه أغفل شدّ بناء القصيدة كما أغفل التزام الغزل قبل التخلص إلى الغرض .

ثمّ تخلّص إلى مدحهم :

بني الأشقر استعلوا بحقّ على الورى كما لم يزل فوق الكعوب اللهاذم [4]

مشيتم إلى العلا وطار غيـــــــركم فلم تبلغ الأقدام فيها القـــــوادم

---

(1):العماد الأصفهاني ، خريدة القصر ،ص337

(2):القصيدة من بحر الطويل

(3)الشؤبوب هو الدفقة من المطر –الودق :الغيم –مشبوب :شبّ النار ،أي أوقدها – جاحم :الجمر الشديد الإشعال

(4) الكعوب ،جمع كعب وهي العقدة من عقد الرماح –اللهاذم جمع لهذم :الأسنّة القاطعة

ونجده يسمو ببعض المعاني عن التكلّف في قوله:

وأوقع من تلقاه من طـــار للعـــلا إذا لم يكن ريش الجناح القـــوادم

وفي ذا الحما المأمول يأمل خـــائف وفي ذا الندى المعسول ينقع حائـم

ثم يعتذر عن ترك أسمائهم وكناهم في شعره ، فيحسن الاعتذار بتشبيه بليغ في قوله :

فان لم أعدد في قريضـــي كناكم وأسماءكم فليفتقـــد ذاك لائـــم

ويغني اشتهار البيت عن ذكر أهلـــه ويغني عن اسم المسك بالشمّ ناسم [1]

أمّا ابن رشيق المسيـــلي فله ديوان زاخر بالمفاخر، ومقطوعات تقاسمتها المصادر ، إلا أنّ معظم شعره كان في فن المديح ، ذلك أنّه كان من بين الشعراء المائة الذين ضمّهم بلاط المعزّ لدين الله الفاطمي[2] وكانت تتوسّطهم امرأة مدح ابن رشيق صاحبه ووليّ نعمته المعزّ الفاطمي ، فأوحى كلامه بالتقدير المتبادل بينهما ،ولاسيما أنّه كان شاعره الناطق بأمجاده ومفاخره .

معز الهـــــدى لازال عهدك دانيا وزيّنت الـدنيا لنا بحـياتـــكا

أتتني أنثى يعلـــــم الله أنّنـــي سررت بها إذا أمّـها من هباتكا

و قد كنت أرجـــو أنّها ذو بلاغة يقوم مقامي في بـــديع صفاتكا

وما نحن إلا نبت جهـــدك كلـنا وكل نبات الأرض من بـركاتكا [3]

---

(1) العماد الأصفهاني ،الخريدة ، ص338 – (2) : عمر ابن قينة ، أدب المغرب العربي قديما ، ص58

(3) :المصدر نفسه ،ص77

ومناسبة القصيدة أن المعز أهدىابن رشيق جارية تزوّجها فأنجبت له بنتا فكتب إلى المعز مخبرا إياه بسروره بها داعيا له بالعز والحياة لكنه أبدى أسفه لأنّه كان يرغب في ولد يخلفه في مدح المعز اعترافا له بنعمته عليه .

وتتضارب الروايات بشأن مولد الشاعر ونشأته ، لكن الصواب كما جاء في بعض المراجع الحديثة نقلا عن كتب التراجم والمصادر القديمة ،أنه ولد بالمسيلة في العام 390 وعاش بها ونقل العلم والأدب وقرض الشعر صبيا .

يقول ابن بسام في ترجمته أنّه ولد بالمسيلة وتأدّب بها قليلا ثم رحل إلى القيروان العام 406 ، ودرس هنالك العلوم الأدبية والقرآنية .[1]

صادفت سنة رحيله موت أبي مناد باديس المنصور ومبايعة ابنه المنصور الملقّب بشرف الدولة ؛ فرثى الأب وتقرب من الابن، وأقام في بيئة زاخرة بمشاهير الأدباء والنقاد من أمثال عبد الكريم النهشلي وأبي الحسن علي ابن أبي الرجال الذي كان وزير المعز ورئيس ديوان الإنشاء لديه .

كان ابن رشيق كما شهد له رابح بونار ، رجلا لينا ومسالما ، قنوعا غير مغامر إذ لم يهج غيره إلا ناذرا ،كما أثار مسألة مجونه وضعف تديّنه وأرجع ذلك إلى شلة من رفاق السوء كان يجالسهم في ملاهي القيروان [2] وله أشعار في الغزل والمجون والخمريات حتّى أنّه شبه بابن نواس ،له آثار أدبية ونقدية أشهرها العمدة في صناعة الشعر ونقده ،وتوفي ابن رشيق سنة 403 هـ وقد ترك لنا رصيدا هاما من الأشعار الجيّدة والآراء النقدية القيّمة .

(1)عمرابن قينة ،أدب المغرب العربي قديما ،ص74

(2)المغرب العربي تاريخه وثقافته،ص313

نعود إلى الثنائية (ابن رشيق – المعز الفاطمي) فنجد صاحبنا ابن رشيق شديد الوفاء لممدوحه الذي استأثره بالمدح ، فأجاد في وصفه بالحيويّة والإباء وعزة النفس ، معلنا بأنةّ الصنهاجي (البربري) الذي تكبر عزّته بجده العربي،وقد مزج هذه المّرة بين المدح والغزل كظاهرة تقليدية في الشعر العربي :

ذمـــت لعـــينـــيـــك أعـــيـــن الغـــزلان
قمـــــــر أقر لـــــحسنه القمــــــران
ومشـــت ولا والله مـــاحـــقف النـــــقا
مما أرتك ولا قضيـــــــــب البان
وثن المـــــلاحة غيـــــر أن ديانتـــــي
تأبـــــى علــــــيّ عبادة الأوثان
مـــن كل أبلـــــج آمر بلســــــانه
يضع السيوف مواضع التيـــــجان[1]

ثم نخلص من كل هذا إلى القول بأنّ الهجرات الفردية والجماعية من المغرب العربي وإليه كانت على قدر كبير من الفائدة والمنفعة، كما ساهمت في بعث روح المنافسة بين الشعراء ،وذلك بدعم واسع من الأمراء الحماديين.

---

(1)أدب المغرب العربي قديما .ص77

ونحن نعتقد كذلك أنّ بعض هذه القصائد يعد من قصائد المجاملة لأننا كثيرا ما لمسنا فيها شعور أصحابها بالواجب نحو الأمير ،وهذا لا ينفي بتاتا حضور عواطف صادقة في البعض الآخر. ومما لاريب فيه أنّ هذه القصائد قد وقعت موقعها من الأمراء وعلية القوم من جهة ومن جهة أخرى نقلت لنا صورة الحاكم ا لحمادي الذّي يسعي في خدمة أرضه وإعمارها.

الفصل الرابع

الخصائص الفنية

الخصائص الفنية:

-اللغةالشعرية

-الموضوعات

-الصورة الشعرية

اللـــــــــغة:

قد يكون من الغريب أن نمضي من هذا البحث إلى حيث بلغنا ذاكرين من الشعر المغربي ما شاء لنا البحث أن نذكره دون أن نعرض إلى اللغة الشّعرية الّتي هي المكوّن الأساس لكلّ إبداع شعري؛ ذلك أنّ الشعر ــ مثلما هو معروف ــ هو الكلام المنطوق المنظم في الوزن و القافية و منهم من يرى أن الشعر هو الكلام الذي يعتمد فيه صاحبه على الخيال و يقصد فيه إلى هذا الجمال الفنّي الذي يجلب الألباب و يستهوى القلوب ، لا يعنيه أن يكون هذا الكلام منظوما في الوزن و القافية أو غير منظوم ." و منهم من يقف موقفا وسطا بين أولئك و هؤلاء فلا يطلق لفظ الشعر إلا على الكلام المنظوم الذي يعتمد فيه صاحبه على الخيـــــال و يقصد فيه إلى الجمال الفنّي[1]

ونحن نعرف أن العرب من مغاربة و غيرهم لا يستطيعون تصور الشعر إلّا إذا كان مقّيدا بالوزن الذي يلائم بين أبيات القصيدة و أجزائها مـــــن جهة، و القافية من جهة أخرى.

و بذلك تكون للشاعر لغته الخاصة ذات الألفاظ المتخيّرة اختيارا دقيقا يمنحه روعـــة و جزالة أحيانا، و يمنحه رقة و عذوبة أحيانا أخرى ، كما يعصمه من الوقوع في التكلف و ليس هذا فحسب بل إن لغة الشاعر تتطلب منه العناية القصوى باللفظ .

[1] طه حسين في الدب الجاهلي - دار المعارف – مصر - ط 2 – 1927 – ص 309

ممّا لا شكّ فيه أن الثقافة الحمادية اعتمدت على تزاوج العنصر البربري بالعنصر العربي و ما يحمله من توجه ديني فتولدت ثقافة تبدو في الغالب بربرية إلا أنها في العمق عربية .

حيث كانت لبنتها بربرية و نطقها باللغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، التي كانت لغة النهي و الأمر و لغة القرائح و العقول و لغة الممارسة الإبداعية .

هذه اللغة التي كانت في بداية الأمر لغة السياسة الجديدة بالمغرب العربي ،حيث كانت تقتصر علي العرب الفاتحين و إن كانت قد سبقتهم إلى المغرب قبل ذلك بسنوات عبر تيارات الهجرة و البعثات التجارية بين الشمال الأفريقي و شبه الجزيرة العربية.

إن هذه اللغة التي كانت في بداية الفتح أداة للتبشير الديني قد صارت بعد سنوات من التخطيط السياسي للخلفاء الأمويين ثم العباسيين ومواليهم بالمغـــرب، لغة التخاطب بين البربر و لسان ثقافتهم الناطق بأمجادهم.

و لما كانت لغة الإسلام عربية، كان فهمه متوقفا علي ثقافة إسلامية حقيقية من دراسة أصوله و فروعه،و هذه الثقافة نفسها متوقفة علي معرفة علوم العربية و آدابها و حذق أسرارها. فوجد أبناء المغرب الأوسط ـــ مثل أبناء المغرب كله – في العربية ما يفي بحاجتهم إلى الثقافة و التعبير عن مظاهر حياتهم المتنوعة.

و غير خاف أنّ الذكر الحكيم وحديث الرسول(ص) منهل عذب للثقافة العربية و الأدب الفني.

و من الأسباب المؤثرة في انتشار اللغة العربية في دولة بني حماد ما يلي:

1- كونها لغة الإسلام الذي ابتغاه أهل المغرب مقتنعين بصحته،لأنه أساس الحياة الروحية التي تطمئن إليها نفس المؤمن.

2- شعور الجزائريين مند القدم برابطة روحية و لغوية نحو الشرق و كأن هذا الشعور نابع من استعداد فطري سليم إلى تعلم العربية.

3- الاتصال الدّائم و المتواصل بالمشرق العربي خاصة ببغداد.

4- نظام الحكم,حيث كان أمراء بني حماد معترفين للخلافة الإسلامية بالسلطة الروحية،و ما انجر عن ذلك من نشر ثقافة الإسلام .

إن لهذه اللغة الجديدة عند المغاربة جذورا عريقة ضاربة في عمق التاريخ و لا يمكن بأي شكل أن تكون قد خلقت من عدم و شأنها في بدايتها شأن الشعر المغربي الذي ظل يخطو في نعومة أظافره خطوات قرينه بالمشرق وهو يشدّ بيده حتى إذا اشتد عظمه وقوى،راح يخطو خطواته الأولى و كله فخر و اعتزاز.

فوسط كل هده العوامل نشأت لغة الشاعر المغربي الأصيلة و ترعرعت حتى صار ينافس بها أقرانه في المشرق.

وتتباين مستويات التناول للغة الشّعرية عند شعراء هذه الفترة باعتبار مستوياتهم الثقافية تباينا ملحوظا كما تتعدد بتعدد الأمزجة و تنوع الأصول.

و يرجع ذلك إلي اختلاف واضح في العقليات بين الأجيال ذلك أن الدولة الحمادية قد عمرت ما يقارب القرن و نصف القرن،و هي مدة كفيلة بأن تشهد

تغييرات معتبرة ،لاسيما و نحن نعلم أنّ هذه الدولة لم تذق طعم الاستقرار أو تكاد،حيث ظلّت تكابد موجات الحروب التي عصفت بها في غير ما مرة. حتى إذا جاء عصر الناصر ابن علناس وعمّ بعض الهدوء ،لمسنا رعاية مميزة لأولي العلم و الأدب، و غنمنا من ذلك كله برصيد مهم من التراث الشعري المغربي.

وقد تمثلت شعرية بعض الخطابات في الانزياحات التي كان الشعراء السابقون قد ابتدعوها،، لأنّ أغلب الألفاظ الشعرية تكون على المجاز لا على الحقيقة، ذلك أن الشعراء غالبا ما رموا بهمومهم على الدهر والأيام وإن كان عناؤهم الأكبر نابع من استبدادية الحكام وظلم السياسة. يقول عزّ الدولة ابن صمادح :

إن يسلم النّاس من غم ومن كمد   فإنّــي قد جمعــت الهم والكمــدا
لــم أبــق منه لغيري ما يحاذره   فليس يقصد دوني في الورى أحدا .

كما تميّزت بعض الشعراء بأساليب انسجمت فيها الوحدات اللغوية بالأفكار المراد التعبير، فكونت إيقاعات جميلة نجمت عن حسن اختيار الإيقاعات المناسبة التي تتسع للمعاني المعبّر عنها من ألم وحزن أو سعادة وفرح أو شوق وحنين .

ومن ذلك قول الصنهاجي (المتوفي سنة 628 هــ) في الحنين إلى آثار أسلافه .

ألا ليت شعري هل أبيتنّ ليلـــــــــة   بواد الجوى ما بين تلك الجداول
وهل أسمعنّ تلــك الطيــور عشيــة   تجاوب في تلك الغصون البلابل

وهل أردن عين السلام على الصدى فأبــرد من حرّ الضلوع النواهل [1]

وقوله في موضع آخر :

علــى عيــن الســلام صــبّ غــداة ماؤها العــذب المنيــر
تــأوّد أيكهــا وجرت صباهــا وشــمّ لهــا كما فتــق العبيــر
وأبــرد ما يكــون الجــوّ فيها وأندى حين يحتدم الهجيـــر [2]

كما تسفه لغة الشاعر ويقل شأنها إذا عبّرت عن تمرّد النفوس وانغماسها في الخلاعة والمجون ، كمقطوعات ابن رشيق التي ردّت عليه .

وبكلمة نقول أن معظم الخطابات قد امتازت بثراء معجمها اللغوي مما طبع بعض النصوص بالطول من وجهة، وبالرقة في الأسلوب من وجهة أخرى، كما تنوعت فيها البني التي فاضت بشعرية الصور وعمق المعاني من خلال كلمات اختلفت مواقعها في القصائد وتباين وقعها في النفوس .

(1) شعراء الجزائر على عهد الدولة الحمادية ، ص 96 .
(2) المصدر السابق ، ص 96 .

المـــــوضـــــوعـــــات

أما من حيث الموضوعات فقد خلا شعر هذه الفترة أو كاد ، من فنون قديمة كفن المراثي على الطّريقة التّقليدية ، ،ولربما نفسّر ظاهرة قلة المراثي وربّما المدائح على طريقة القدماء في الشعر المغربي، بترك الشعراء لأساليب البدو القدماء لتبسط هؤلاء في الحضارة وركون أولئك إلى البيئة الجديدة ، وهي المدينة بما تحمله من قصور ورخاء، وعمارة وأزياء، إلى طبيعة ساحرة ؛ ذلك أنّ الوصف كان حاضرا في التراث المغربي خاصة في المغرب الأوسط الذي عرف منذ القدم بسحر مناظره وحضارته الرّاقية التي غذّت خيالات الشعراء وهذّبت قرائحهم فجادوا بأروع القصائد وتفنّنوا ما شاءوا في وصف القصور ونعث محتوياتها وأنماط بنائها.

ورائية ابن حمديس واحدة من أروع القصائد المطوّلة التي أسّست لهذا النوع في فترة الحكم الحمادي، وحملت الشعراء على الالتفات نحو الطبيعة والاحتفاء.

ومن شعر الطبيعة ما قاله القلعي في وصف بركة ماء وكذا أشعار ابن رشيق خاصة مقطوعته التي يصف فيها البرق حيث استأنسنا فيها برومنسية أحاسيسه النابعة من عمق وجدانه ولا شك،لأنه حقا شاعر موجود .

وليس ثمة شك في أن هذه القصائد قد وقعت موقعها في نفس القارئ، وإن اختلفت فيها مستويات الإبداع الفني وتوليد المعاني من شاعر إلى آخر بقدر اختلاف أصولهم وأمزجتهم ؛ ذلك أن الأدب نتاج حضاري من أنظمة متجاورة

ومتناصّة مع التراث والواقع والفكر والوجدان، كما ترى النظرية النقدية الحديثة فقد تصبح إشكالية أي نص هي إشكالية الإنسان نفسه، ولا يمكن فصل أحدهما عن الآخر فالعلاقة بين النص وصاحبه علاقة تبادلية تستوجب أحيانا تبادل الأدوار لأن خصائص النّصوص هي امتداد لطبيعة الإنسان.

وقد أصبح النص وسط كل هذا داخل شبكة معقّدة من العقائد والمفاهيم والأفكار والأمزجة تدل كلّها على أنّ المغرب دخل في روح حضارية ثقافية، فيها تجاوزت الحركة الأدبية المغربية عمليات التلقي في الاتجاه الواحد إلى إنتاج خطاب أدبي شامل منتج للمعرفة الأدبية المستقطبة لكل المعارف الإنسانية.

وغير خاف أن الشعر المغربي قد خلّد متاعب أصحابه ومعاناتهم اليومية، لأنهم غالبا ما يلتفتون فيه إلى أنفسهم متحدّثين عن مشاغلهم وهمومهم ، وهذه نزعة قديمة في الشعر منذ العصر الجاهلي أين كان الشعراء يبكون فراق الأحبة ويشتكون قساوة الزمان ووحشة الأيام،فيبثون ذلك كله في خطاباتهم، وتبعهم في ذلك شعراء كثيرون كالمتنبي وبشار .

وما تجدر الإشارة إليه هو أن أدب الفترة ميّزه تأثّر واضح بأدبي المشرق والأندلس لا سيما في الأغراض التقليدية من مدح وغزل وشكوى، وكذا في الأسلوب الفنّي من تخير للألفاظ الجزلة الرقيقة مع مراعاة ما يناسب الأسلوب،

وحسن التنسيق واستعمال الفنون البلاغية من تشبيهات حسيّة ومحسّنات بديعية، لفظية ومعنوية ، واضحة المعاني خالية من التكليف والتّعقيد لبعدها عن الأدلة العقلية، كأنهم جاروا الشعراء المطبوعين، فقرضوا الشعر سجيّة وصانوه من التّصنع، فكان عربيا أصيلا .

وتميّز المدح في هذه الفترة بترفعه عن الملق والاستجداء إذ لم نجد من الشعراء من تذلّل لأجل نيل العطايا أو الظفر برضا الممدوح، وهذا ما منح هذا النوع مرتبة سامية ضمن التراث الشعري وقد أجاد الشعراء المغاربة في المديح بكل ما يقتضيه المدح من ذكر حميد الصفات وجميل الشّمائل في صور شعرية أخفت مبالغة بعضهم في الوصف ممدوحيهم، بفعل جمال الصورة وسعة الخيال.

وإن كانت بعض الصور مألوفة لأننا نلمس فيها استئناسا بالتراث العربي ، ويتجلى ذلك من خلال بعض الصور المتداولة كتشبيه الممدوح بالبحر في جودته أو تشبيه عطاءه بالندى كما في قول يوسف ابن المبارك مادحا آل حمّاد بجودهم :

وتبدلـــــون الرّفـــد يـــوم الـــــندى

وتسعـــــرون الحـــــرب يوم الكــــفاح .

وقول القلعي الأصم في مدح بني الأشقر :

وماذا الندى والوقت بالصيف صـــــــائم

ومـــاذا الســـــنا و الجـــوّ بالليل فـــاحم .

كما تردّدت على مسامعنا البني الإفرادية شائعة الذيوع في المدح : العزّ – الكرم – العلا – النصر – الرماح – المجد – العزم – الملك ...

وهي وإن كانت بني شائعة التداول ،فهي لا تزال تحافظ على قيمة فنيّة في جوهرها لها وقعها الخاص في القلوب، خاصة إذا حسن موقعها من التركيب كقول القلعي :

وفي ذا الحمى المأمول يأمن خائف وفي ذا الندى المعسول ينقع صـــــائم .

الصـــــورة الشـــعـــــرية :

امتازت القصيدة الحمادية بالمؤثرات العاطفية المتعددة، فكانت زاخرة بالصور الشعرية التي بدت أحيانا تقليدية للآخرين لا أثر لإبداع الشخصي فيـــــها، و كثيرا ما كانت الصور فيها عبارة عن إعادة تركيب، لذا فقد كان نتاج الشعراء يشبه عملية هدم و بناء. فبعض الصور مألوفة في حقل الشعر ، و قد أخضعها أصحابها لعملية تحليل و إعادة بناء من جديد مع مراعاة تناسبها مع المعاني أو الأفكار التي تشرئب قرائحهم للوصول إليها.

كقصيدة ابن المليح الطيب التي نظمها في مدح الأمير عبد الله بن العزيـــز و تناول فيها غرضا تقليديا مسبوقا في المناسبة و الصورة ، و نهج فيه طريق أبي عبادة الوليد البحتري في مدح المتوكل.

غير أن عملية الهدم و البناء لم تكن مباشرة حتى نقول أن الشعر المغربي عبارة عن مجموعة تناصات، و إنما بدت المعاني و كأنها عفوية طبيعية من مخزون ذاكرة الشاعر لا أكثر .

فما عثرنا إلا على بعض التناصات المتناثرة في ثنايا الخطابات الشعريـــة و ذلك باعتبار ما يمكن أن يشكل الموروث الثقافي للشاعر ، كالقرآن الكريـــــــم و الحديث النبوي و الشعر العربي، إذ نلحظ و في ذات القطعة التي مطلعها :

وجالت به جرد المذاكي كأنـــها عـــذارى لكن نطقن تحمحـــــم

إنّ هذا التشبيه الحسّي مأخوذ من معلقة امرىء القيس

فعن لنا سرب كأن نعـــاجـــــه عـــذاري دوار في ملاء مذيـــل

و قد استعمل "ابن المليح" نفس الصورة فقال " كأنها عذارى" ثم احترس فيه بقوله " نطقن تحمحم " ، و هذا ما أضفى على الصورة نوعا من الإبداع الشخصي. و قد يكون السّر في ذلك أن عملية التلقي التي خضع لها شعراء المغرب في البدايات الأولى للشعر المغربي مع بوادر الفتح الإسلامي شكلت مخزونا ثقافيا، بقي عالقا في الأذهان بالرغم من محاولات النسيان .

و هذا لا يمنع من أن يتخلى الشاعر عن هذا المخزون أثناء عملية الإبداع، فيأتي بناؤه نابعا منه، لا من مؤثرات خارجية كقصيدة ابن رشيق في وصف البرق، التي أبدى فيها مقدرة بيانية في ابتكار المعاني و تحليتها بالتشبيهات المثيرة.

كما يظهر حذقه في اقتباس بعض مقطوعاته من القرآن الكريم حيث قال في وصف قسي البندق :

طيـــرا أبابيل جـــاءتنا فما برحـــت إلا و أقـــواسنا الطيـــر الأبابيل

يرمينا بحصى طين مســـــــومة كأن معدنها للـــرمـــل سجيـــل

تعـــــدو على ثقة منا بأطيـــبـــها والنار تقدح و الطنجير مغسول[1]

[1] ابن رشيق : العمدة ، ج 2 – ص 288 .

فقد ضمن كلامه الآيات التالية :

1/ قوله تعالى : " **لنرسل عليهم حجارة من طين مسوّمة عند ربك للمسرفين** "[1] .

2/ قوله تعالى : " **و أرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل** " [2].

و له قطع أخرى ضمنها آيات من الذكر الحكيم دلت على تمكنه من الاقتباس و حذفه كتاب الله ، كقوله في الإعراض عن الجاهل و السكوت عنه :

أيها الموحي إلينا نفثة الصّل الصموت
ما سكتنا عنك عيا ربّ نطق في السكوت
لك بيت في البيوت مثل بيت العنكبوت
إن يهن وهنا ففيه حيلتا سكنى و قوت[3]

و قد اقتبسها من قوله تعالى : " **كمثل العنكبوت اتخذت بيتا و إنّ أوهن البيوت لبيت العنكبوت** " [4] .

و بالرغم من أن الشاعر قد أعاد بناء هذه البنى، فإنه قد أحسن كيفية تشكيلها مرة أخرى، فكانت صورة عاكسة لما يعتلج بداخله من انفعالات مشحونة بأحاسيسه الخاصة.

---

[1] الآية33 و34 من سورة الذرايات .

[2] الآية 3-4 من سورة الفيل .

[3] ابن رشيق العمدة : ج 1 – ص.244 .

[4] الآية 42 من سورة العنكبوت .

لم يفت بعض الشعراء أن يذكروا تشوق أهلهم و أحبابهم إليهم و حزنهم على فراقهم، فكانت خطاباتهم صرخة قوية عبرت عن محنهم و معاناتهم و شكواهم من جور الزمان و فواجع الأيام .

و نار بأكبادي أكابد حرّها و قلب سليم قلّب في لظى جمر
و ما طائر فوق الغصون مسرّح كمن بات مقصوص الجناحين في وكر
فلم أنس توديع البنين مصفدا وأصغرهم يجري وأد معه تجري [1]

فمقطوعة ابن عمارة الشريف من شعر الحنين الصادق، صدق عواطف الأبوة.

كما يتجلى صدق المشاعر أيضا في قصيدة الفقيه الشاعر "ابن النحوي" التي ازدحمت العواطف السامية لتنبئ عن شوق الرجل إلى مصر و أهلها حيث عمد فيها إلى التأثير في النفوس بأسلوب جزل الألفاظ رقيق المعاني، و ما كان انشغاله بالفقه قيدا على الشعر بقدر ما كان ضربا من ضروب الرقابة الأخلاقية التي ترشد الشاعر في مسلكه الشعري و تمنعه من أن ينحرف إلى الهزل المخل ، الذي لا يليق بمنزلته في المجتمع .

و كثيرا من شعراء المغرب كانوا فقهاء و من فقهائه كانوا شعراء، و قد كان ابن حزم الظاهري (384 – 456) فقيها متضلّعا في الفقه و كان له على الرغم من ذلك شعر جيد طرق فيه أغلب ما يعرفه الشعر من أمور الحياة .

(1): د: مختار حبار ، شعراء الجزائر على عهد دولة بني حماد ، ص 122.

و هكذا يسير الأديب الفقيه المتحفظ على طريق الزّاهدين المتقدمين ليكون أبعد الناس عن نسيان قديمه ، ذلك لتمكن غريزة التقليد من نفسه ، لما يتعلق بهذا القديم من وشائج دينية و قومية ؛ إذ كان الشعر الجاهلي ، و لا يظل، ديوان المفاخر و الحجة التي لا تفرع في تفسير معاني القرآن الكريم و معرفة غريبة.

أما الشاعر الذي استهوه كل جديد، فيسلك مسلك المصطنعين المتكلفين رغبة منه في الإتيان بالأفضل من وراء الانغماس في الملذّات والإغراق في العبث و اللهو و الانصراف إلى وصف مجالس السمر و المجون و الخمريـــات، و غير ذلك مما تتصرف عنه بشدة و معارضة عين العقلاء من الشعراء و شلة كبيرة من الفقهاء.

كما اهتمت فئة تتوسط بين هؤلاء و هؤلاء بالطبيعة على وجه الخصوص و ذلك بوصفها في سكونها و غضبها، في بساطتها، و تعقيداتها و ما إلى ذلك من وصف للعمران و الظواهر الطبيعية و المخلوقات.

و لئن اختلفت اهتمامات الشعراء و مطامحهم ، فإنها قد أسهمت كلها في بناء أساس الخطاب الشعري المغربي و أضفت عليه من شعريتهم ما فجر مشاعر صادقة عميقة ،قد يصعب أحيانا على الشاعر نفسه أن يعبّر عنها تعبيرا دقيقا.

و يمكن القول إنّ بعض الشعراء قد وفق إلى حد كبير في نقل مشاعره، خاصة عندما يتشوق و يحن إلى أرضه و أرض أسلافه

ذكرت صقلية و الأســـــى يهيـــج للنفس تذكارهـــــا
و منزلة للتصابي قد خلــت و كان بنو الظــرف غمارهــا
فإن كنت أخرجت من جنــة فإني أحــدث أخبـــارهـــا
و لولا ملوحة ماء البكـــاء حبست دموعي أنهـــارها[1]

و قد نجح ابن حميدس في تصوير حنينه إلى أرضه و مسقط رأسه حيث نشأ وقضى ريعان شبابه، كما استطاع أن يبث في المتلقي صور الحزن و الأسى و يؤثر فيه، وتلك غاية الخطاب الشعري و أمله .

و إننا لا نستغرب أن يكون هذا النص قد نبع من عاطفة وفاء و إخلاص للأهل وتعلق شديد بالوطن ، و لذلك استعار في تجسيد أحاسيسه بالمحسوس من الصور المعبرة التي تنقل شعور الباث إلى المتلقي، كما استعان باقتباس معاني القرآن الكريم في قوله : " أحدث أخبارها" وهي مقتبسة من قوله تعالى : " **يومئذ تحدث أخبـــارها بأن ربك أوحـــــى لها** [2].

---

[1] : أحمد حسن الزيات ، تاريخ الأدب العربي ، ص .317.

(2): الآية : 4-5 من سورة الزلزلة .

لقد تبين لنا أن القصيدة الحمادية الغزلية قد حملت في ثناياها حديث عن المشاعر و العواطف السامية و النبيلة في شكل وحدات لغوية و بنى تركيبية طبعتها إيقاعات جميلة و مناسبة كبحر الكامل و بحر الطويل و ذلك ليتسع مجال التعبير عن العواطف و المكنونات.

و إن وجدنا أن معظم شعر الغزل قد جاء على سبيل التلميح لتقنع أصحابه في إظهار مشاعرهم، إلا زمرة قليلة يترأسها ابن رشيق الذي يمثل شعره في اللهو و الغزل أدبا مكشوفا، دل على قلة حيائه ، لأنه اتبع هواه غير مبال. و يبدو تفرده بهذا السلوك في بعض قطعه الشعرية؛ إذ لم نعثر على قطعة مجونية لشاعر من المغرب الأوسط عاصر ابن رشيق أو عاش قريبا من زمانه سواء أكان مقيما أو مهاجرا. فلعله تأثر بجلساء السوء في القيروان كما يرجحه أحمد بن محمد أبو رزاق [1]حتى افتتن بدور الخمارين و أخذ يتردد إلى الحانات التي ألفوها فضعف في نفسه الوازع الديني و الخلقي، حتى صار لا يتورع عن كشف مساوئه في الشعر.

و كيفما كان سلوكه- عفا الله عنه- فقد ترك للمكتبة العربية إنتاجا قيما مفيدا في النقد و الأدب و الشعر ، دلّ على تمتعه باستعداده فطري و ذهني جيد، و ثقافة عربية أصلية.

(1) - الأدب في عصر دولة بني حماد ، ص.239

فابن رشيق متفرد بمجون قصائده الغزلية وهو في هذا الشأن شاذ لا يقاس عليه ، لأن معظم الشعر الحمادي على اختلاف مضامينه قد طغت عليه النزعة الدّينية ، حيث لمسنا فيه بعض التحرج في النظم.

و لعل ذلك يرجع -كما أسلفنا – إلى تلك الرقابة الذاتية النابعة من عمق كل شاعر بحسب ضوابطه الأخلاقية التي تلازمه طوال حياته.

والخلاصة أن الغزل المغربي ليس إلا غزلا تقليديا على عادة الشعراء الذين كانوا يقفون على الأطلال و يذكرون أحبة رحلوا و شبابا قد أفل، و ديارا قد عفت .

كقول أبي الحسن الطّبني الذي عاش في القرن 5 هـ:

كم بالهوادج يوم البين من رشإ يهفو عليه وشاح جائل قلـــق

و كم برامة من ريم يفارقنا هيفان يثنيه عن توديعنا الفرق [1].

و قول ابن قاضي ميلة :

رحل الركب و المشـــوق مقيـم كيف يبرأ مع الصحاح السقيم

و بنفسي الغداة ريـــم تولـــّي و ضلوعي كهف له رقيـــم

أقعدتني حوادث الدهـــــر عنه و كذا الدهر مقعد و مقيـــم [2]

(1): شعراء الجزائر على عهد الدولة الحمادية ، ص . 108 .

(2) المصدر السابق : ص 128 .

و لا ريب أن شعراء الجزائرعلى عهد بني حماد قد قصدوا إلى العناية بالأسلوب، حيث بدت عليه صفة التكلف أحيانا، وهو ما يضفي على الشعر طابع سمة المصنوع .

و غير خاف أن " الصناعة " و الجهد وحدهما لا يصنعان الشعر من عدم فكل شاعر، و إن ظهر على شعره التصنع أحيانا، فإن وراءه طبعا هو الأصل في شاعريته، ذلك أن إعمال الفكر ضرورة تقتضيها الثقافة المصاحبة لأي فن كـــان، و الشعر كما قال ابن رشيق صناعة يعرفها أصحابها.

و لقد كان الشعر في المغرب الأوسط بمثابة حاجة يسعون بها في أغلب أيامهم وهاجسا يرافقهم أينما حلوا و ارتحلوا، بل كان يحمل روح كل شاعر منهم بهمومها ومسرّاتها و هو بالفعل صرخة من عمق التاريخ، تحمل معها قيمة تاريخية كبرى بقدر ما تعبر عن حقائق وقعت في زمان لها و مكان محدّديـــــن و أبطالها أشخاص موصوفون يذكرهم التاريخ بأسمائهم ليخّلد ذكراهم .

خاتمة

الخـــاتمة

لقد اتّضح لنا من خلال البحث أنّ دولة بني حمّاد الجزائرية قد أثبتت وجود أمّة ذات كيان سياسي في العصور الوسطى، وذلك بالرغم من ظروفها المملوءة بالفتن والحروب، والفضل في ذلك كلّه يرجع إلى الرجل الدّاهية " حمّاد " الّذي كان يحمل فكرة استقلالية ذاتية دفعته إلى إنشاء دولة بالمغرب الأوسط ، فكان بذلك أسوة لبنيه الّذين توارثوا الملك بعده،والتزموا إكرام أولي العلـــــم منافسة للأمراء العرب وملوكهـــم وخدمة للإسلام والعروبة .

ويعدّ هذا الدعم من لدن أمراء بني حمّاد الدّافع الأقوى إلى ترغيب القادمين في الإقامة واستيطان المغرب الأوسط . فأفادوا واستفادوا وتركوا آثارا علمية وأدبية ذات شأن على الرّغم من قلّة المعثور عليه من ذلك، ولو كانت مسطورة لحفظ منها ما يماثل الموجود بالإمارات العربية بالأندلس والمشرق . ومهما تكن النتائج الّتي توصّلنا إليها من خلال تحليلنا لبعض النصوص فهي لا تعدو أن تكون مجرّد محاولة لإماطة اللثام عن بعض الجوانب الجمالية والفنّية لبعض النّصوص ، ولعلّها محاولة تحتاج إلى المراجعة وإعادة النّظر .

وقد تضافرت الأفكار الواردة في الرسالة طيلة فصولها الأربعة الّتي تصدّرها مدخل تعرّضت فيه إلى مقدّمة تاريخية لمعرفة الدولة الّتي اتخذتها موضوعا للبحث والدراسة.

وبعد ذلك تناولت في الفصل الأوّل غرض الغزل ،فوجدت أنّه اتّسم في الغالب بطابع العفّة حتى إنّ بعض الشعراء تقنّعوا بغزلهم وراء مجموعة من الرّموز والدّلالات ،وقصدوا فيه إلى طلب الأساليب الملتوية أكثر ممّا اهتمّوا فيه بالتعبير عن مشاعرهم ومعاناتهم.و ذلك ما لم نجده في شعر الحنين والتّشوّق الذّي عبّر فيه أصحابه عن لوعة البعاد وحرقة الحنين إلى الأهل والدّيار بعواطف فيّاضة وصادقة.

أمّا الفصل الثّاني فقد تحدث فيه عن الوصف، وهو غرض جادت فيه قرائح الشّعراء بروائع القصائد التّي صوّروا فيها الطّبيعة في هدوءها وفي غضبها ورصدوا لنا بدقّة ملابسات البيئة التي عاشوا فيها ،كما نعتوا مظاهر الحضارة الباذخة التّي تمتع بها ملوك بني حمّاد ،بفضل حنكتهم وخبرتهم في أمور السياسة والحياة.

وعالجت في الفصل الموالي غرض المدح،وقد كان غالبا في الخطابات الشّعرية لما حظي به الشّعراء الحمّاديون وغيرهم من مكانة علميّة رفيعة عند ملوك هذه الدّولة الّتي باتت تمثل مركز إشعاع علمي وثقافي.

ثمّ تطرّقت في الفصل الرّابع والأخير إلى الخصائص والمقوّمات الفنّية البارزة التّي طغت على خطابات الشّعراء باعتبار مستوياتهم و أصولهم.

هذا ما أمكنني بفضل الله وتوفيقه أن أؤتي عليه ، وأوضّح غامضه ، وأمهّد به الطّريق أمام الباحثين ، وكلّي إيمان بأنّ ميدان البحث واسع والاجتهادات فيه تتفاوت كلّ حسب مقدرته .

والله أسأل حسن الختام وصلاح الأحوال ،إنّه نعم المولى ونعم النّصير.

مصادر البحث و مراجعه

ثبت بمصادر البحث ومراجعه

القرآن الكريم :برواية حفص ابن سليمان ابن المغيرة الأسدي الكوفي

1-ابن بسّام الأندلسي وكتاب الدّخيرة،الجزائر ،المؤسّسة الوطنية للكتاب1989

2-ابن خلدون، التّعريف بابن خلدون. بيروت –دار الكتاب 1979

3-ابن خلدون، المقدّمة ، بيروت،مطبعة عبد الرّحمن محمّد لبشير–دت .

4-ابن خلكان ،وفيات الأعيان وإنباء أبناء الزّمان ،مط القاهرة ،ج5- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد،القاهرة1948

5-ابن رشيق العمدة تحقيق وتعليق محمد محي الدين عبد الحميد،ج2،ط3 ،1963

.

6-أبو العباس الغبريني، عنوان الدّراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية ،طبيروت،1969

7-أحمد بن محمد أبو رزّاق ،الأدب في عصر دولة بن حماد ،الشركة الوطنية للنشر والتّوزيع-الجزائر-1979

8-احمد حسن الزّيات، تاريخ الأدب العربي ، ط5،دار نهضة مصر للنشر والطبع ،القاهرة .

9-البحتري ديوان البحتري ، بيروت -ج1-1962

10- بطرس البستاني ،أدب العرب في الأندلس وعصر الإنبعاث ،دار صادر ــبيروت ــط3-1937 -

11- توفيق المدني، المسلمون في جزيرة صقلية وجنـــــوب إيطاليا ،ط الجزائر 1965

12- حسن حسني ،ورقات عن الحضارة العربية ،مط المنار-ج 1- تونس1962

13- حنا الفاخوري تاريخ الأدب العربي في المغرب العربي ، طبع بيروت 1951

14- د صلاح رزق، أدبيّة النّص , دار غريب للطباعة والنشر والتّوزيع -القاهرة - ط2، 2001

15- ديوان ابن حمديس(عبد الجبار ابن أبي بكر) -تصحيح الدكتور إحسان عباس ،دار صادر ،بيروت 1960

16- ديوان ابن رشيق (ابوعلي الحسن)جمع الدكتور عبد االرحمن ياغي -بيروت -دت

17- رابح بونار ،المغرب العربي ،تاريخه وثقافته ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ،1968

18- رشيد بوروبة وأصحابه ،الجزائر في التاريخ ،العهد الإسلامي، ج3،الجزائر1974

19- شوقي ضيف،،تاريخ الأدب العربي-االعصر االجاهلي ،ج1- دارالمعارف مصر -ط6-1960

20- طه حسين، في الأدب الجاهلي . ، دار المعارف ، مصر 1927

21- عبد الرحمن بن محمد الجيلالي ،تاريخ الجزائر العام . ،ج1،دار الثقافة ـبيروت-ط4، 1980

22- العماد الأصفهاني ،خريدة القصر ، قسم شعراء المغرب ،ط تونس 1966

23- عمر ابن قينة ،أدب المغرب العدبي قديما ، ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر، 1994

24- القاضي الجرجاني أبو الحسن عبد العزيز،الوساطة بين المتنبي وخصومه، ط1،دار إحياء الكتب العربية ،القاهرة،تحقيق محمد أبو الفضل علي اليحياوي

25- لسان الدّين ابن الخطيب ،أعمال الأعلام ،القسم الثالث

26- لسان الدين ابن الخطيب ،المسالك والممالك ،ط الجزائر 1857

27- عباس محمود العقّاد ،أثر العرب في الحضارة الأروبية.دار المعارف للطباعة والنشر ،مصر 1942.

28- مارون عبّود ،أدب العرب ،دار الثقافة -بيروت- 1987 -1989

29- محمد حماسة عبد اللطيف، الإبداع الموازي ،دار غريب للطباعة والتوزيع والنشر،2001

30- مصطفى ناصف ،الصورة الأدبية دار الأندلس ،بيروت،ط 3سنة 1973

31- هوسي ميرنداوغيره ،البيان المعرب ،قسم 3،تحقيق ــ الرباط 1963

فهرس المواد

إهداء وشكر

مقدمـــــــة

مدخـــــــل:الحياة السياسيةو الثقافيةالفكرية.....1
-الحياة السياسية.....3-5
-الحياة الثقافية وموقف الدولة من الحركة العلمية
.....6-12

الفصل الأول:شعر الغزل والحنين إلى الأوطان
.....13
- شعر الغزل.....15-34
- شعر الحنين إلى الأوطان.....35-43

الفصل الثاني: شعر الوصف.....44
-إضاءة 46-49
-الحضارة على عهد الحماديين.....49-52

- ظاهرة وصف القصـــــــور (ابن حمديـــــــس نموذجا).....61-52
-مقاربة تحليلية لقصيدتي ابن حمديس.....75-61

الفصل الثالث:شعر المدح.....95-77

الفصل الرابع:الخصائص الفنية.....96
-اللغة الشعرية.....102-98
-الموضوعات.....106-103
-الصورة الشعرية.....115-107

خاتمـــــــة.....119-116

فهرس المصادر والمراجع.....125-120

فهرس المواد.....127-126.